مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الثالث والعشرون، العدد الأول، ص347– ص395 يناير 2015
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

رمزيّة القصص الدّينيّ في الفكر الكتابيّ:
قصّة الطّوفان أنموذجا

أ. نزار علي الصغير صميدة
باحث بوحدة بحث مقارنة الأديان بجامعة الزّيتونة
أستاذ التّعليم الثّانويّ في مادّة التّربية الإسلاميّة والتّفكير الإسلاميّ
وزارة التّربية – الجمهوريّة التّونسيّة

ملخّص: لكلّ قصّة من قصص الكتاب المقدّس رمزيّتها الخاصّة في الفكر الدّينيّ الكتابيّ وقصّة الطّوفان الكتابيّة لها من الثّراء الرّمزيّ في فكر علماء اليهود والنّصارى ما يثير الدّهشة، فلكلّ مكوّن من مكوّنات قصّة الطّوفان دلالته الرّمزيّة اليهوديّة أو المسيحيّة، فالأرقام في هذه القصّة لها رمزيّتها، وكذلك الأشخاص والأماكن والأحداث لها رمزيّتها إلى حدّ قد يبلغ فيه التّأويل الرّمزيّ للقصّة أقصى درجات التّعسّف والإقحام والإسقاط.

Symbolic religious stories of the holy books: Great Flood story as example

Abstract: Any story of the Holy Book has its special symbolic aspect from the religious perspective such as the story of the Great Flood which has an effective symbolic impact on Jewish and Christian scholars that make it astonishing. Every part of this story has its own symbolic indication on the Jewish or Christian dogmas, even the numbers in the story have symbolic indication, As well as the people, places, and events have a fairly symbolism could reach the symbolic interpretation of the story of extreme abuse, caret and projection.

مقدّمة:

الحمد للّه ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الأخيار إلى يوم الدّين، وبعد فإنّ قصص الكتاب المقدّس –على ما يعتريها من صنوف التّحريفات والتّلفيقات المغرقة في الشّركيّة والوثنيّة– لها عند اليهود والنّصارى رمزيّتها الدّينيّة الخاصّة، وقصّة الطّوفان كقصّة كتابيّة تندرج ضمن دائرة التّرميز الدّينيّ في الفكر اليهوديّ والمسيحيّ، وهذا البحث هو محاولة لرصد مختلف الأبعاد الرّمزيّة لقصّة الطّوفان في الفكر الكتابيّ بشقّيه اليهوديّ والمسيحيّ، وقد اعتمدت فيه منهج الوصف والتّحليل والنّقد والتّمحيص لمختلف النّصوص الكتابيّة والآراء الفكريّة اليهوديّة والمسيحيّة في قصّة الطّوفان.

المبحث الأوّل: قصّة الطّوفان في الكتاب المقدّس

تنحصر قصّة الطّوفان في الكتاب المقدّس في العهد القديم بالأساس، وبالتّحديد في السّفر الأوّل من أسفار التّوراة الخمسة، فقد أتى سفر التّكوين على ذكر هذه القصّة بدقائقها وجزئيّاتها وتفصيلاتها. أمّا ما عدا ذلك فقد جاءت بعض الإشارات العابرة للطّوفان في العهد القديم، كالإشارة الواردة في سفر إشعياء(54: 9)، وسفر أيّوب(12: 15)، ومزامير داود(104: 6-29/9: 10)، وبعض الإشارات الأخرى الواضحة في العهد الجديد، كالّتي وردت في إنجيل متّى(24: 38 - 39)، ورسالتي بطرس الأولى والثّانية(رسالة بطرس الأولى 3: 20/ رسالة بطرس الثّانية2: 3/5: 5-6)، وإنجيل لوقا(17: 26 -27)، والرّسالة إلى العبرانيّين(11: 7)، وسيرد ذكرها كلّها مفصّلة في مواضعها إن شاء الله.

المطلب الأوّل: الطّوفان في نصوص العهد القديم

لقد عرضت أسفار اليهود لتاريخ العالم من يوم نشأته إلى قبيل بعثة المسيح، فتكلّمت بإجمال عن خلق السّماوات والأرض وخلق آدم وحوّاء وتاريخهما في الجنّة وهبوطهما منها، وما حدث لنسلهما بعد ذلك، وقصّة نوح والطّوفان، وقصّة الخروج وغيرها من القصص الأخرى.

وقد استغرق هذا القصص حيّزا كبيرا من أسفار العهد القديم، فقد أفردت أسفار اليهود كلّ قصّة من هذه القصص بقسم معيّن وتناولتها في صورة مسلسلة كاملة الأجزاء مترابطة الحوادث كما تفعل كتب التّاريخ[1]، وما ذكرناه ينطبق كلّيا على قصّة الطّوفان فقد تضمّنت الإصحاحات 6 و7 و8 من سفر التّكوين جلّ أطوار هذه القصّة من بدايتها إلى نهايتها.

تبتدئ القصّة بتمهيد لمسرح الأحداث يتمثّل في قصّة غامضة يوردها كاتب التّوراة في وصف حالة الفساد الّتي أصبح عليها ذريّة آدم، والمتمثّلة في زواج(أبناء الله) ببنات النّاس وما أنتجه هذا الزّواج من إنجاب للجبابرة "ولمّا ابتدأ النّاس يكثرون على وجه الأرض وولد لهم بنات، رأى بنو الله[2]، بنات النّاس حسنات فاتّخذوا لهم نساء من جميع من اختاروا، فقال الرّبّ لا تحلّ روحي على الإنسان أبدا

---

[1]- وافي علي عبد الواحد: اليهود واليهوديّة : بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعيّ والاقتصادي، نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، د ت، د ط، ص 67-68.

[2]- في التّوراة السّامريّة "نظر بنو السّلاطين". انظر "التّوراة السّامريّة": ترجمة الكاهن السّامريّ أبو الحسن الصّوريّ من العبرانيّة إلى العربيّة، تحقيق وتعليق أحمد حجازي السّقا، دار الجيل بيروت 2007م، ط1، ص29.

لأنّه جسد وتكون أيّامه مائة وعشرين سنة، وكان على الأرض جبابرة في تلك الأيّام، وأيضا بعد أن دخل بنو الله على بنات النّاس وولدن لهم أولادا أولئك هم الجبابرة المذكورون منذ الدّهر"[3].

وقد أثارت كلمة "أبناء الله" كثيرا من الجدل لدى دارسيّ التّوراة اليهوديّة وشرّاحها، ففسّروها وفق فهمهم وتصوّرهم حيث ذهب بعضهم إلى أنّ المراد بها الملائكة[4]، في حين نفى البعض الآخر هذا الزّعم مستبعدين احتمال صحّته، جاء في التّفسير التّطبيقيّ للكتاب المقدّس ما يلي:" ليس من المحتمل أن يكون أبناء الله هم الملائكة لأنّ الملائكة لا يتزوّجون ولا يلدون[5]، ويعتقد بعض العلماء أنّ هذه العبارة تشير إلى أبناء شيث (وهم شعب الرّبّ) ولكنّهم لم يعودوا أتقياء، وعليه فهذه الأعداد تحدّثنا عن الزّواج المختلط بين نسل "شيث" الأتقياء ونسل "قايين" الأشرار، ولا بدّ أنّ هذا الزّواج أضعف النّسل النّقيّ وزاد من الفساد الأدبيّ في العالم، وأدّى تزايد عدد السّكان إلى تزايد الشرّ"[6].

وحول هذا الاتّصال بين أبناء الله وبنات النّاس يعلّق الإمام "ابن حزم الظّاهريّ" قائلا:" وهذا حمق ناهيك به، وكذب عظيم إذ جعل لله أولادا ينكحون بنات آدم وهي مصاهرة تعالى الله عنها، حتّى أنّ بعض أسلافهم قال: إنّما عنى بذلك الملائكة، وهذه كذبة إلاّ أنها دون الكذبة الأولى في ظاهر اللّفظ"[7].

بعد ذلك يخبرنا سفر التّكوين بأنّ هذه الخطايا والآثام البشريّة المستفحلة والمتفاقمة– التّي يرى"ليوتاكسال" أنّ سببها الأساسيّ هو ترك أحفاد آدم للصّلاة عند الصّباح والمساء على أغلب الظنّ ممّا أوقعهم في الخطيئة[8*]–هذه الآثام كانت سببا في غضب الرّبّ وحزنه وأسفه"ورأى الرّبّ

---

[3]– تكوين 6: 1 – 4.

[4]– ليوتاكسال: التّوراة كتاب مقدّس أم جمع من الأساطير، ترجمة حسان ميخائيل إسحاق، دار الجنديّ للطّباعة والنّشر 1994م، ط1، ص65.

[5]– انظر في ذلك إنجيل متّى22: 3، وأيضا إنجيل مرقص12: 25.

[6]– التّفسير التّطبيقيّ للكتاب المقدّس: تأليف مجموعة من علماء اللاّهوت، شركة ماستر ميديا القاهرة، د ت، د ط، ص23.

[7]– الظّاهريّ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنّحل، تحقيق أحمد السّيّد سيّد أحمد عليّ، المكتبة التّوفيقيّة القاهرة 2003م، ط1، 147/1.

[8]– ليوتاكسال: م س، ص65.

[*]– للوقوف على جملة الآراء في تفسير هذا اللّفظ يمكن العودة إلى تفسير الكتاب المقدّس، تأليف جماعة من اللاّهوتيّين برئاسة الدّكتور "فرنسيس دافرسن"، دار منشورات النّفير 1986م، ط158/3،1.

شرّ النّاس قد كثر على الأرض وأنّ كلّ تصوّر أفكار قلوبهم إنّما هو شرّ في جميع الأيّام، فندم الرّبّ أنّه عمل الإنسان على الأرض وتأسّف من قلبه"[9].

لذلك يقرّر الرّبّ إبادة هذا الإنسان صحبة بقيّة المخلوقات وذلك لندمه على خلقهم "فقال الرّبّ أمحو الإنسان الذّي خلقت على وجه الأرض، الإنسان والبهائم والدّبابات وطير السّماء لأنّي ندمت على خلقي لهم"[10]، ومن الغريب هنا أن يشمل هذا القرار القاسي البهائم والدّبابات وطيور السماء، التي لا يتّضح من الرّواية أيّ ذنب جنت، سوى أنّ الرّبّ حزن لأنّه خلقها[11].

ولربّما أعمى الغضب يهوه إلى درجة أصابته فيها نوبة هستيريّة أفقدته صوابه، فلقد عبّر "ليوتاكسل" عن هذا الأمر بأسلوبه السّاخر والمضحك فقال:"إذا إنّه حزن يهوه وهو ليس حزنا عاديّا يا صاحبي، أضف إلى هذا أنّ أسى العجوز كان عميقا إلى درجة فقد فيها اتّزانه الرّوحيّ والعقليّ، الأمر الّذي قاده إلى إبادة الحيوانات أيضا، علما بأنّ هذه التّعيسة لم تأثم، ولم تفعل ما يغضبه، ويخيّل للوهلة الأولى أنّ أبسط حلّ أمام الشّيخ كان تغيير النّاس إلاّ أنّه آثر أن يميتهم غرقا، ويجب أن نعترف بأنّ هذا الموقف لم يكن موقفا أبويّا"[12].

لقد حاول مفسّرو الكتاب المقدّس إيجاد تفسير لندم الإله، تفسير يليق به كإله، فقد فسّر علماء اللاّهوت ندم الإله بالآتي:" فكلمة النّدم في لغة البشر تعني هذا التّغيير على أنّ الله لا يغيّر فكره قطّ، ففكره ثابت من جهة المحبّة والقداسة ولكن متى تغيّر الإنسان في تصرّفه تغيّر الله في موقفه"[13].

غير أنّ العقاب الرّبّاني الشّامل للنّاس ولسائر الكائنات الأخرى قد استثنى رجلا واحدا من بني البشر، وهذا الرّجل هو نوح عليه السّلام" أمّا نوح فنال حظوة في عيني الرّبّ"[14]، وذلك لكونه رجلا بارّا صالحا"وهؤلاء مواليد نوح كان نوح رجلا برّا كاملا في أجياله وسلك نوح مع الله"[15].

---

[9]– تكوين 6: 5 – 6.

[10]– تكوين 6: 7.

[11]– محمود كارم عزيز: أساطير التّوراة الكبرى وتراث الشّرق الأدنى القديم، دار الحصاد للنّشر والتّوزيع والطّباعة، سوريّة دمشق1999م، ط1، ص215.

[12]– ليوتاكسال: م س، ص65–66.

[13]– جماعة من اللاّهوتيّين برئاسة الدّكتور "فرنسيس دافرسن" : تفسير الكتاب المقدّس، دار منشورات النّفير1986م، ط1، 159/1.

[14]– تكوين 6: 8.

إنّ وصف نوح عليه السّلام بالكمال والتّقوى والطّاعة المطلقة للرّبّ قد تكرّر في مواضع مختلفة في الكتاب المقدّس، فمثلا يذكر سفر حزقيال:"وكانت إليّ كلمة الرّبّ قائلة: يا ابن آدم لئن أخطأت إليّ أرض وخانت خيانة فمددت يديّ عليها وكسرت لها قوام الخبز وأرسلت عليها الجوع وقطعت منها الإنسان والحيوان، وكان فيها هؤلاء الرّجال الثلاثة: "نوح" و"دانيال" و"أيّوب"، فإنّهم إنّما يخلصون أنفسهم ببرّهم، يقول السّيّد الرّبّ"[16].

إلاّ أنّنا رغم ذلك لا نعثر على تصريح بنبوّته عليه السّلام، فقد خلت الأسفار المعتمدة لدى أهل الكتاب من هذا التّصريح، ما عدا تلميح أو إشارة بسيطة إلى ذلك في "الرّسالة إلى العبرانيّين" حيث جاء فيها:"بالإيمان نوح لمّا أوحي إليه عن أمور لم تر بعد خاف، فبنى فلكا لخلاص بيته فيه دان العالم، وصار وارثا للبرّ الذّي حسب الإيمان"[17].وفي المقابل نجد بعض الأسفار غير المعتمدة لدى أهل الكتاب تصرّح بنبوّة نوح وتؤكّد هذا الأمر، ومن بين هذه الأسفار سفر "طوبيا" أو"طوبيت" الّذي ورد فيه:"لا تأخذوا نساء أجنبيّات من خارج عشيرة أبيكم، لأنّنا أبناء الأنبياء، نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب آبائنا منذ البدء"[18].

ويتتابع سير الأحداث ليذكّرنا المؤلّف التّوراتيّ مجدّدا بالسّبب الذّي من أجله اتّخذ الرّبّ قرار إبادة الإنسان[19]، حيث نجد الرّب(إيلوهيم) يعلن مجدّدا قرار الإبادة هذا دونما إيضاح لوسيلة الإبادة، ثمّ يأمر نوحا ببناء فلك ذي أبعاد ومقاييس محدّدة ومضبوطة "اصنع لك تابوتا من خشب قطرانيّ[20] واجعله مساكن واطله من داخل ومن خارج بالقار[21] كذا تصنع، ثلاثمائة ذراع طوله(150م تقريبا)، وخمسون ذراعا ارتفاعها(25م تقريبا)، وثلاثون ذراعا سمكه(15م تقريبا)، وإلى قدر ذراع تكمله من فوق واجعل باب التّابوت من جانبه ومساكن سفلى وثواني وثوالث تصنعه"[22].

---

[15]– تكوين 6: 9.

[16]– حزقيال 14: 12-14.

[17]– الرّسالة إلى العبرانيّين 11: 7 (العهد الجديد).

[18]– طوبيا 4: 12، انظر: Charles Robert Henry : Apocrypha of the old testament, 1/212

[19]– تكوين 6: 14.

[20]– في بعض التّرجمات: خشب جفر .

[21]– في ترجمة أخرى الزّفت وفي أخرى القطران وهو أحد المنتجات الطبيعيّة في آشور .

[22]– تكوين 6: 14-16.

وسفينة نوح وإن بدت مقاييسها ومواصفاتها دقيقة وواضحة كما يحدّدها سفر التّكوين، فإنّ مفسّري الكتاب المقدّس قد اختلفوا في بيان طبيعتها، فالفلك الذّي بناه نوح عند أهل "التّفسير التّطبيقيّ" لم يكن مجرّد زورق صغير بل مركبا يبلغ طوله مرّة ونصف طول ملعب كرة القدم، وارتفاعه ارتفاع مبنى من أربعة أدوار، وقد كان طوله ستّة أضعاف عرضه تماما، وهي نفس النّسبة التّي يراعيها بناة السّفن الآن[23]، أمّا أصحاب "تفسير الكتاب المقدّس" فيرون أنّ بناء السّفينة لم يكن بناءً فعليّا، فنوح لم يبن سفينة بالمعنى الصّحيح، لكنّه جمع كتلا خشبيّة بحيث تكون ثابتة على سطح الماء، وعمل لها سقفا.[24]

ويفصح الرّبّ أخيرا عن طريقة العقاب والعذاب الذّي سيحلّ بالبشريّة جمعاء "وها أنذا آت بطوفان المياه على الأرض لأهلك كلّ جسد فيه روح حياة من تحت السّماء وكلّ ما في الأرض يهلك"[25].

واستجابة لذلك يسارع نوح ببناء السّفينة الذّي دام (البناء) مائة عام تقريبا وفق ما قدّره "ليوتاكسال"[26]، ولا بدّ أنّ بناء سفينة ستحمل عددا هائلا من الكائنات يقتضي كثيرا من الحكمة لذلك يرى **(Louis Ginzberg)** أنّ نوحا قد أخذ المعرفة اللاّزمة لبناء هذه السّفينة من الكتاب الذّي تلقّاه آدم عليه السّلام من الملك جبريل فقد تضمن هذا الكتاب كلّ المعارف السّماويّة والأرضيّة،

يقول **« Louis Ginsberg »:**

« Il fallait beaucoup de sagesse pour construire l'arche qui devait accueillir tous les êtres de la terre, y compris les esprits. Noé acquit la connaissance nécessaire du livre qu'Adam avait reçu de l'ange Raziel. dans lequel toutes les connaissances célestes et terrestres étaient enregistrées »[27]

---

[23]– التّفسير التطبيقي للكتاب المقدّس، ص24.

[24]– تفسير الكتاب المقدّس، 160/1.

[25] – تكوين 6: 17.

[26]– قد توصّل إلى ذلك بناءً على عمليّة حسابيّة قد أجراها استنادا إلى معطيات سفر التّكوين، إذ يذكر سفر التّكوين أنّ عمر نوح كان خمسمائة سنة لمّا قرّر يهوه إبادة الكائنات الحيّة كلّها(تكوين 5: 32)، وأنّ عمره كان ستمائة سنة حينما بدأ الطّوفان(تكوين 7: 6)، وعلى هذا الأساس يفترض "ليوتاكسال" أنّ زمن بناء السّفينة كان 100سنة.(التّوراة كتاب مقدّس أم جمع من الأساطير ص530).

[27]-Ginsberg Louis : Les légendes des juifs : les dix générations, Noé/traduit de l'anglais par Gabrielle Sed- Rajna / les éditions du cerf et Institut Alain de Roth Schild paris 1997, p114.

ولا بدّ أيضا أنّ بناء سفينة بالمواصفات التّي ذكرنا وفي الزّمن الذّي ذكرنا سيكون أمرا عسيرا، خاصّة إذا ما تصوّرنا عمليّة البناء قد تمّت بخشب عاديّ.

إنّ التّوراة تخبرنا أنّه خشب قطرانيّ(جفر)، وإنّ هذا النّوع من الخشب منطقيّا لن يكون خشبا عاديّا، ولئن بقيت الشّجرة المنتجة لهذا الخشب مجهولة إلى اليوم لدى أغلب شرّاح الكتاب المقدّس، فإنّنا نجد "قاموس شنينبرغ" ينصّ على أنّ هذه الشّجرة هي ذاتها شجرة السّرو ووفق فرضيّة أخرى فإنّ "الجفر" هو شجر التّين.[28]

ونقرأ أيضا في التّلمود في "سانهدرين" 108 العمود الثّاني ما يلي :" اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر، ما هو الجفر؟ الرّاباي"أدّا" قال : طلاّب علم الرّاباي "شيلا" قالوا (خشب "المابليجا"، آخرون أكّدوا "جولاميش[29]")"[30].

يقول "ليوتاكسال" في بيان خصوصيّة هذا الخشب وفرادة نوعه :" وعلينا أن نفترض أنّ الخشب الذّي صنع منه الفلك هو من أفضل أنواعه، لأنّه إذا ما قرّر أحدهم أن يصرف مائة عام على صنع سفينة ، فإنّه لن يجد الخشب الذّي يبقى سليما حتّى نهاية عملية البناء، ولتحوّلت مؤخّرة السّفينة إلى فتات متآكل عندما يصل البنّاءون إلى مقدّمتها"[31].

بعد الفراغ من بناء سفينة النّجاة يصغي نوح إلى التّعاليم الصّادرة عن الرّب، والتّي تقضي بدخوله السّفينة صحبة أهل بيته حاملا معه طائفة من الحيوانات لتكون بذرة إعادة الحياة فيما بعد:"وأقيم عهدي معك ، فتدخل السّفينة أنت وبنوك وامرأتك ونسوة بنيك معك، ومن كلّ حي من كلّ ذي جسد

---

[28]- ليوتاكسال: م س، ص530 .

[29]- "المابليجا" و"الجولاميش" هما نوعان من خشب الأرز.

[30]- النّصّ الأصليّ:

"Make thee an ark of gopher wood : what is goher?-R-adda said :the scholars of R-Shilla said it is mabliga, other’s maintain golamish" .

راجع في ذلك:

"Soncino Babylonian Talmud", translated into English with notes , glossary and indices under the editorship of Rabbi Dr.IEpstein.BA – Ph.D.D LIT? THE Soncino press London.Sanhadrin 108 b P 485

[31]- ليوتاكسال: م س، ص67.

اثنين من كلّ تدخل السّفينة لتحفظ حيّة معك، ذكرا وأنثى تكون من الطّيور بأصنافها ومن جميع الحيوانات التّي تدّب على الأرض بأصنافها يدخل إليك اثنان من كلّ لتحفظ حيّة "[32].

وتتواصل توصيات الرّبّ إلى نوح فينصحه بتحميل السّفينة بالمؤن له ولأفراد عائلته، وبعلف أو مأكل الدّواب التّي معه:"وأنت فخذ لك من كلّ طعام يؤكل واجعله مؤونة لك فيكون لك ولهم مأكلا"[33].

ولقد كان نوح ممتثلا ومطيعا لهذه الأوامر أو التّعليمات فنفّذ ما طُلب منه بدقائقه وجزئيّاته[34]، إلى هنا تبدو الرّواية التّوراتيّة متماسكة نوعا ما، ولكننا نواجه مجدّدا ذلك التّكرار العقيم والمثير للشكّ لبعض أجزاء النّصّ، حيث تكرّر سابقا ذكر سبب قرار الإبادة مرّتين، وإن كنّا قد استغربناه بداية إلاّ أنّنا قد عددنا ذلك ضربا من ضروب التّأكيد، ولكن التّكرار في هذه المرّة بدا مغايرا تماما، فلقد تكرّرت توصيّات وتعاليم الرّبّ لنوح ولكن مع مفارقات عجيبة، فبعد أن أمره بدخول الفلك صحبة زوجته وبنيه وزوجات بنيه مصطحبا معه زوجين من كلّ أنواع الحيوانات ، نجده يأمره مجدّدا باصطحاب سبعة ذكور وسبعة إناث من كلّ البهائم الطّاهرة واثنين اثنين من البهائم غير الطّاهرة وكذلك سبعة سبعة من الطّيور[35].

ولفظ "سبعة سبعة" هنا قد يعني سبعة أزواج ولكن الأكثر احتمالا- كما يفيد تفسير الكتاب المقدّس- أن تكون ثلاثة أزواج وواحدة إضافيّة لتقديمها محرقة بعد النجاة[36]، فكأنّنا بـ"يهوه" في هذا الإطار قد نسي تعليماته السّابقة لنوح أو أنّه أراد أن يجري عليها تعديلا في اللّحظة الأخيرة[37].

إنّ هذا الأمر يجعل من النّصّ التّوراتيّ للطّوفان نصّا معقّدا وغامضا يصعب التّعامل معه، يقول **(Alain Marchadour)** بهذا الصّدد:

« Le récit du déluge est l’un des textes les plus universellement connus, c’est aussi l’un des plus complexes dans sa rédaction celui qui voudrait y

[32]- تكوين 6: 18-20 .

[33]- تكوين 6: 21 .

[34]- تكوين 6: 22 .

[35]- تكوين 7: 2-3 (وتأذ من جميع البهائم الطّاهرة سبعةً سبعةً، ذكورًا وإناثًا، ومن البهائم غير الطّاهرة اثنين ذكرًا وأنثى، وتأخذ أيضا من طيور السّماء سبعةً سبعةً ذكورًا وإناثًا).

[36]- تفسير الكتاب المقدّس، 160/1.

[37]- ليوتاكسال :م س، ص68.

trouver une logique solide se heurterait à des difficultés incontournables. »[38]

و لكم غريب أمر هذا الكاتب التّوراتي حينما يؤكّد لنا مجدّدا أنّ نوحا لن يحمل معه فعلا في الفلك إلاّ زوجا واحدا من ذكر وأنثى من كلّ نوع من الحيوانات[39]، على العموم فإنّ ما يعنينا هو صعود نوح ومن ذكروا إلى السّفينة وإغلاق الرّب باب السّفينة عليهم[40].

ولقد كان هذا الصّعود استجابة لتوصيات الرّبّ وتحذيراته بأنّ موعد الطّوفان قد اقترب:"فإنّني بعد سبعة أيّام، ممطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة وماح على وجه الأرض كلّ كائن صنعته"[41].

❖ وجاء الطّوفان:

"وبعد سبعة أيّام كانت مياه الطّوفان على الأرض في السّنة السّتّ مائة من عمر نوح في الشّهر الثّاني في اليوم السّابع عشر منه في ذلك اليوم تفجّرت عيون الغمر العظيم وتفتّحت كوى السّماء وكان المطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة"[42].

ونلاحظ من خلال هاتين الآيتين الدّقة المتناهية في تحديد زمن بداية الطّوفان: اليوم والشّهر والسّنة، أضف إلى ذلك تحديد عمر نوح في ذلك اليوم والمقدّر بـ" 600 سنة " وتأكيد مدّة الطّوفان بعد أن ذكرت قبل هذا.

ثمّ تقدّم لنا التّوراة تحديدا آخر دقيقا وهو أنّ صعود نوح ومن معه إلى السّفينة كان في ذلك اليوم نفسه الذّي حدث فيه الطّوفان ولكن بطبيعة الحال قبل حدوثه:"في ذلك اليوم نفسه دخل نوح السّفينة هو و"سام" و"حام" و"يافث" بنوه وامرأة نوح وثلاث نسوة بنيه معه"[43].

وتتواصل الأحداث ليصف لنا كاتب التّوراة هول الطّوفان وعظمته، فقد تكاثرت المياه حتّى غطّت أعالي الجبال وأهلكت كلّ حيّ يدبّ على الأرض:"وكان الطوفان أربعين يوما على الأرض فكثرت

---

[38]- Marchadour Alain : Genèse commentaire pastoral, Boyard éditions Centurion 1999, 2éme Edition, p104.

[39]– تكوين 7: 8–9 / 7: 15.(ومن البهائم الطّاهرة وغير الطّاهرة ومن الطّيور ومن كلّ ما يدبّ على الأرض دخل السّفينة اثنان اثنان إلى نوح ذكورًا وإناثًا / فدخل السّفينة إلى نوح اثنان اثنان من كلّ ذي جسد فيه روح حياة).

[40]– تكوين 7: 16.(والدّاخلون دخلوا ذكورًا وإناثًا من كلّ ذي جسد كما أمر الله نوحا وأغلق الرّبّ عليه).

[41]– تكوين 7: 4 .

[42]– تكوين 7: 11–12.

[43]– تكوين 7: 13

المياه وحملت السّفينة فارتفعت على الأرض،وارتفعت المياه جدّا وكثرت على الأرض فسارت السّفينة على وجه المياه وكثرت المياه جدّا جدّا على الأرض، فتغطّت جميع الجبال الشّامخة التّي تحت السّماوات كلّها، فارتفعت المياه خمس عشرة ذراعا على الأرض وتغطّت الجبال"[44].

إنّه حقّا لطوفان عظيم ومهول بهذه المواصفات التّوراتيّة، ولا شكّ أنّه روّع الكائنات جميعا النّاجية وغير النّاجية ، فهذا الأمر قد أكّده التّلمود، فوصف هول الطّوفان وجزع النّاس منه ونجاة الأبرار دون سواهم، ورد في التّلمود: "فكما تكلّم الربّ حصل، وتجمّعت البهائم بأعداد كبيرة مقابل التّابوت فما أقعى منها أدخل إليه، فيما تركت الأخرى وعند مضي سبعة أيّام قصفت الرّعود والبروق في السّماء فهزّت أركان الأرض وأظلم بهاء الشمس وهطل مطر عظيم، وتجاوزت حدّة العواصف كلّ ما عرفه الإنسان أو تخيّله، هرع النّاس إلى التّابوت وتمسّكوا به وصاحوا بنوح مستغيثين فأجابهم: مائة وعشرون سنة مضت وأنا ألحّ عليكم لتسمعوا كلامي، أمّا الآن فهيهات قد فاتتكم الفرصة، وهطل المطر أربعين يوما وأربعين ليلة بقوّة هادرة حتّى أنّ أصحاب التّابوت أصابهم الهلع والقلق، من خوفهم ألاّ يكون تابوتهم قادرا على تحمل هذا الجبروت الغامر، فراحت كلّ بهيمة في التّابوت على اختلاف أنواعها، تصيح من الخوف والعجز حتّى أضحى الصّخب هادرا ورهيبا"[45].

إنّ هذا النّصّ المطوّل نسبيّا يؤكّد ذلك الهلع النّفسيّ الذّي حلّ بالكائنات فذلك الطّوفان الهادر والعنيف قد جعل ردّة فعلهم مضطربة قوامها الجزع والهلع والفزع ممّا قد يحدق بهم، إلى درجة تساوى فيها النّاجي وغير النّاجي في هذه المشاعر.

مرّة أخرى نجد أنفسنا أمام تناقض عجيب في مضمون النّصّ التّوراتيّ، فلئن أخبرتنا التّوراة بأنّ مدّة الطّوفان ستدوم 40 يوما مردفة ذلك بوصف مشاهد الطّوفان المروّعة فإنّنا نجد كاتب التّوراة بعد ذلك يحدّد هذه المدّة بـ 150 يوما[46].

ومع بداية وصف النّصّ التّوراتيّ لانخفاض مياه الطّوفان نصطدم بتناقض آخر جديد مشابه للّذي ذكرناه من قبل تماما إذ أنّنا نلاحظ أنّ انخفاض المياه يقدر في موضع من النّصّ بـ 150 يوما[47]

---

[44]- تكوين 7: 17-20.

[45]- إيبش أحمد: التّلمود كتاب اليهود المقدّس: تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه، دار قتيبة للطّباعة والنّشر والتّوزيع دمشق سورية2006م، ط1، ص75.

[46]- تكوين 7: 24.(وارتفعت المياه على الأرض مدّة مائة وخمسين يومًا).

[47]- تكوين 8: 3.(وراحت المياه تتراجع عن الأرض ونقصت في نهاية المائة والخمسين يومًا).

بينما يقدّر في موضع آخر بـ 40 يوما[48]. ومع ذلك نواصل رحلة الطّوفان مع النّصّ التّوراتيّ ليعلمنا بعد ذلك أنّ السّفينة بعد نقصان المياه (في إحدى المدّتين) استقرّت على جبال أراراط[49] في اليوم 17 من الشهر السّابع، تقول التّوراة: "واستقرّت السّفينة في الشهر السّابع في اليوم السّابع عشر منه على جبال أراراط[50].

لقد مثّل استقرار السّفينة على الجبل نتيجة لتذكّر الله لنوح وجميع من معه حيث أرسل ريحا على الأرض فسكنت المياه وانقطعت مياه السّماء وانسدت عيون الأرض فتناقصت المياه وتراجعت عن الأرض[51].

وهنا سنتوقّف قليلا مع هذا التّذكّر فالمعنى ملتبس والفعل الذّي استخدمه المؤلّف هنا هو (ويِّزْكُر)[52]، وقد يعني ذكَرَ أو تذكَّرَ، فإن كان يعني الأوّل فهذا يعني أنّ الرّب ذكر نوحا ومن معه برحمته أي حفظهم من الطّوفان، وإن كان يعني الثّاني فمعنى ذلك أنّ "إيلوهيم" كان قد نسي ركّاب الفلك في غمار الأحداث ثمّ عاد وتذكّرهم وتذكّر عهده مع نوح.

وهذا المعنى الثّاني هو ما رجّحه الباحث "كارم عزيز محمود"، فلو كان المؤلّف يقصد المعنى الأوّل لاستمرّ في وصف أحداث الطّوفان وهوله ليبرز رحمة الرّبّ في حفظه لنوح ومن معه في خضم هذه الأحداث العصيبة، غير أنّ المؤلّف أعقب العبارة –موضع الالتباس– مباشرة بوصف الأفعال التّي قام بها الرّبّ لينهي أحداث الطّوفان، ممّا يوحي بدلالة التّذكّر فجأة بعد نسيان، حيث لجأ الرّبّ بمجرّد أن تذكّر إلى إنهاء هذه الأحداث[53].

يواصل مؤلّف التّوراة هذيانه السّرديّ بشأن الطّوفان فيقول: "وكانت المياه لا تزال تنقص إلى الشّهر العاشر، وفي أوّل يوم منه ظهرت رؤوس الجبال"[54]، وهذه عجيبة أخرى من عجائب النّصّ التّوراتيّ، فالفلك(السّفينة) قد رسا كما رأينا فوق قمّة "أراراط" التّي يبلغ ارتفاعها 5156 مترًا، أمّا الجبال التّي

---

[48]– تكوين 8: 6.(وكان في نهاية الأربعين يومًا أن فتح نوح نافذة السّفينة التّي صنعها).

[49]– في التّوراة السّامريّة "جبال سرنديب" انظر الصفحة 32 منها.

[50]– تكوين 8: 4.

[51]– تكوين 8: 1–3.(وتذكّر الله نوحا وجميع الوحوش والبهائم التّي معه في السّفينة وأمر الله ريحا على الأرض فسكنت المياه وانسدت عيون الغمر وكوى السّماء واحتبس المطر من السّماء وراحت المياه تتراجع عن الأرض).

[52]– اللّفظ العبريّ للفعل .

[53]– محمود كارم عزيز: أساطير التّوراة الكبرى وتراث الشّرق الأدنى القديم، ص 218.

[54]– تكوين 8: 5.

يزيد ارتفاعها على ارتفاع "أراراط" كقمم "الهملايا" الأربع عشرة التّي يبلغ ارتفاعها 8000 مترًا أو القمم الأخرى في "أمريكا الجنوبيّة" و"إفريقيا"، فلم تظهر إلاّ في اليوم الأوّل من الشّهر أي بعد ستّة أسابيع، إنّها لعجيبة حقّا[55].

وبعد أن رست السّفينة واستقرّت على الجبل، وبعد أن انقضت الأربعون يوما فتح نوح نافذة السّفينة، وأطلق الغراب فلم يحقّق له المأمول ولم يتّضح له جفاف اليابسة من عدمه، ثمّ أطلق الحمامة فعادت إليه وفي فمها ورقة زيتون فكانت تلك علامة نقصان المياه عن الأرض بالنّسبة إليه، ثمّ بعد سبعة أيام أُخَرٍ عاد نوح فأرسل الحمامة فلم تعد إليه[56].

وتضطرب الرّواية مرّة أخرى حيث يذكر النّصّ أنّ نوحا كشف غطاء السّفينة فوجد اليابسة قد جفّت وكان ذلك في أوّل الشّهر الأوّل من السّنة الحادية والسّتمائة من حياة نوح[57]، ثمّ يعود ليذكر أنّ الأرض جفّت في السّابع والعشرين من الشّهر الثّاني من نفس السّنة[58].

لقد حاول "جيمس فريزر"(**James Frazer**) أن يحلّ الإشكال الذّي تطرحه الرّواية التّوراتيّة حول مدّة الطّوفان من بدايته إلى نهايته فقال: "إنّ مدّة الطّوفان في العموم استغرقت اثني عشر شهرًا تقدّر بثلاثمائة وأربعة وخمسين يوما، وإذا أضيفت إلى هذا الرّقم عشرة أيام أخرى فإنّ المدّة تكون حينئذ سنة شمسيّة كاملة، أي ثلاثمائة وأربعة وستّين يوما"[59].

ونجد في هذا الإطار أيضا عمليّة حسابيّة يجريها مؤلفو"تفسير الكتاب المقدّس" تكون نتيجتها أنّ المدّة الإجماليّة للطّوفان تقدّر بـ 371 يوما، وتفصيل ذلك كالآتي:

سقط المطر مدّة أربعين يوما، ثمّ نقصت المياه في مدّة قدرها 74 يوما، ومضى بعد ذلك أربعون يوما قبل أن يرسل نوح الغراب، ثمّ مرّت سبعة أيّام قبل أن يرسل نوح الحمامة للمرّة الأولى، ومرّت سبعة أيام أخرى قبل إرسال الحمامة للمرّة الثّانية، وسبعة أخرى قبل إرسال الحمامة للمرّة الثّالثة، إلى هنا يصبح المجموع 275 يوما، لكن الحادثة التّي تلي هذا (لا نعلم أي حادثة هي) كانت بتاريخ أوّل يوم من الشّهر الأوّل من العام 601 (من عمر نوح)، فتكون الفترة من التّاريخ المذكور في (تكوين 11:7) إلى هذه النّقطة المذكورة في (تكوين 13:8) عبارة عن 314 يوما، إذن فقد مضت

---

[55]– ليوتاكسال: التّوراة كتاب مقدّس أم جمع من الأساطير، ص71.

[56]– تكوين 8: 6–12.

[57]– تكوين 8: 13.(وكان في سنة إحدى وستمائة من عمر نوح، في اليوم الأوّل من الشّهر الأوّل أن جفّت المياه عن الأرض).

[58]– تكوين 8: 14.(وفي الشّهر الثّاني، في اليوم السّابع والعشرين منه يبست الأرض).

[59]– فريزر جيمس: الفولكلور في العهد القديم، ترجمة نبيلة إبراهيم، دار المعارف القاهرة1982م، ط2. 185/1.

مدّة قدرها 29 يوما، ثمّ من كشف نوح لغطاء الفلك حتّى نهاية الاختبار كانت 58 يوما أخرى فيكون المجموع بذلك 371 يوما[60].

ونلاحظ أنّ هذه المدّة تزيد على المدّة التّي حدّدها "جيمس فريزر" وهي 364 يوما، فلا ندري هنا من أين أتت السّبعة أيّام التّي تمثّل الفارق؟

بعد هذا كلّه تتراءى لنا المشاهد الأخيرة لقصّة الطّوفان، فيأمر الرّبّ نوحا بمغادرة السّفينة صحبة زوجته وبنيه ونسوة بنيه ومن كان معهم من البهائم والطّيور والوحوش ليعيدوا إحياء الأرض وإكثار النّسل، فيستجيب نوح لأمر الرّبّ ثمّ يبني مذبحا ويقدّم فيه قربانا للرّبّ من كلّ البهائم والطّيور الطّاهرة، ليتنسّم الرّبّ رائحة الرّضا ويتعهّد في داخله بعدم لعن الأرض بسبب الإنسان المجبول على الشرّ منذ حداثته[61].

وما يمكن ملاحظته في هذا الباب أنّ قصّة القربان المذكور تؤكّد بشكل ضمنيّ الرّواية التّي تنصّ على أنّ الحيوانات والطّيور الطّاهرة المحمولة على ظهر السّفينة كانت سبعة ذكرا وأنثى، أمّا غير الطّاهرة فكانت اثنين ذكرا وأنثى. وربّما كان هذا أمرا متعمّدا من الكاتب التّوراتيّ لكي لا يكون هناك تعارض بين تقديم القربان والعدد المذكور، ولعلّ ما يؤكّد ذلك أنّ نوحا قدّم المحرقات أو القربان من الحيوانات والطّيور الطّاهرة فقط والتّي تمثّل العدد سبعة، إذ لو أخذ من الحيوانات والطّيور غير الطّاهرة والتّي تمثّل الرّقم (اثنين) لانتفت الغاية التّي من أجلها حملت في السّفينة وهي الحفاظ على النّسل، ففرد واحد من الزّوجين لا يكفي وحده لهذه العمليّة[62].

وبعد تلقّي القربان يبارك الرّبّ نوحا وبنيه محلاّ لهم أكل اللحوم وكلّ ما تنبته الأرض من خيرات، تاليا عليهم جملة من الوصايا لتكون لهم بمثابة الشّريعة الرّبانية[63]، ثمّ يعاهد الرّب بني البشر بأن لا يأتي إليهم ثانية بمثل هذا الطّوفان متّخذا من قوس قزح ميثاقا بينه وبينهم:"هذه علامة العهد الذّي أنا جاعله بيني وبينكم وبين كلّ ذي نفس حيّة معكم مدى الأجيال للأبد تلك قوسي جعلتها في الغمام فتكون علامة عهدي بيني وبين الأرض"[64]، فقد تطلّب الاتّفاق أو العهد توقيعا وهذا التّوقيع كان قوس قزح.

60- تفسير الكتاب المقدّس، 1/162-163.

61- تكوين 8: 15-21.

62- محمود كارم عزيز: م س، ص219.

63- تكوين 9: 1-10.

64- تكوين 9: 12-13.

❖ عجيبة التّوراة الكبرى: عورة نوح ولعنة كنعان

انفردت التّوراة دون سواها من المراجع السّماويّة الأخرى بذكر حادثة غريبة تنسب لنبيّ الله نوح غراسة الكروم وشرب الخمر والتّعرّي:"وابتدأ نوح حارث الأرض يغرس الكرم وشرب من الخمر فسكر وتكشّف في داخل خيمته"[65].

ولعلّ الأغرب من ذلك ما ورد في تفسير هاتين الآيتين فقد جاء في "التفسير التّطبيقيّ للكتاب المقدّس":"سكر نوح بطل الإيمان العظيم، ويا له من مثال سيّء أمام أبنائه ولعلّ هذه القصّة كتبت في الكتاب لترينا أنّه حتّى الرّجال الأتقياء يمكن أن يخطئوا وأنّ تأثيرهم السّيئ يمتدّ إلى عائلاتهم"[66]. أهذه أفعال نبيّ ؟ قطعا لا فالواجب في حقّ نوح هو شكر الرّبّ الذّي نجّاه من الطّوفان، والعمل على تنفيذ وصيّته بإعمار الأرض وطاعة الله وتجنّب الآثام والشرور لا السّكر والتّعرّي.

ولكن مؤلف التّوراة لا يقف عند هذا الحدّ بل يتجاوزه ليطلعنا على غريبة أخرى وهي رؤية حام لعورة أبيه :"فرأى حام أبو كنعان عورة أبيه"[67]، وبعد أن أبصر حام عورة أبيه أخبر أخويه بذلك وقد كانا خارج الخيمة التّي كان فيها نوح عاريا، فما كان منهما إلاّ أن واريا سوءة أبيهما دون رؤيتها :"فأخبر أخويه وهما في خارج الخيمة فأخذ سام ويافث الرّداء وجعلاه على كتفيهما ومشيا إلى الوراء فغطّيا عورة أبيهما ووجههما إلى الجهة الأخرى فلم يريا عورة أبيهما"[68].

ويستفيق نوح إثر ذلك ليعلم بصنيع ابنه الصّغير، فيلعنه ويدعو عليه بشرّ الدّعاء ولإخوته وبالأخصّ سام بالبركة والتّمكين:"فقال: ملعون كنعان عبدًا يكون لعبيد إخوته وقال:مبارك الرّبّ إله سام، وليكن كنعان عبدا له! ليوسّع الله ليافث وليسكن في خيام سام، وليكن كنعان عبدا له!"[69].

حقّا إنّه لأمر عجيب وغريب، فما ذنب كنعان حتّى يلعن من قبل جدّه نوح ؟

ثمّ إنّ تاريخ البشريّة يؤكّد أنّ دعوة نوح هذه لم تكن مجابة، فهذه اللّعنة لم تصاحب نسل كنعان دائما، "فالحثّيون" مثلا عظموا بين قدماء الأمم، واشتهر "الصيدونيّون" و"الفينيقيون" بالتّجارة، وإن كانوا قد انحطوا في الرّوحانيات فلعنوا بعبادتهم الأوثان، فإنّ اليهود ليسوا بأحسن حالا منهم، فهم

---

[65] – تكوين 9: 20-21.

[66]– التّفسير التّطبيقيّ للكتاب المقدّس، ص29.

[67]– تكوين 9: 22.

[68]– تكوين 9: 22-23.

[69]– تكوين 9 : 22 -23.

أيضا قد عبدوا الأوثان رغم عرقهم السّامي كما يزعمون، أضف إلى ذلك أنّ بني إسرائيل كانوا عبيدا للمصريّين أولاد كنعان ولم ينقذهم من العبوديّة إلاّ نبيّ الله موسى[70].

فإذا كانت لعنة نوح لكنعان ونسله حقيقيّة فما بالنا إذن نراها(اللعنة) معكوسة ؟

والسّؤال الذّي يطرح نفسه هنا، لماذا "كنعان" دون "كوش" و"مصرايم" و"فوط" أبناء حام الآخرين؟[71]

تلك إذن قصّة الطّوفان كما ترويها إصحاحات سفر التّكوين، بما تحمله من تناقضات وعجائب وغرائب ذكرنا بعضها وآثرنا تأجيل ذكر البعض الآخر ليكون في محلّ آخر من هذا المبحث وهو قسم المؤاخذات.

أمّا سائر الإشارات الأخرى الواردة في العهد القديم بخصوص الطّوفان، فإنّها قد جاءت معبّرة عن عظمة الخالق وقوّته، وكونه هو المسيّر لهذا الكون، المتحكّم في مختلف أجزائه، يقول سفر أيّوب: "إن حَبَسَ المياه تجفّ الأرض وإن أطلقها تغرقها"[72]، ففي هذا بيان لعزّة الله وقدرته من قبل نبيّ الله أيّوب.

أمّا في مزامير داود فقد تكرّر ذكر خبر الطّوفان في موضعين، أوّلهما فيه بيان لغلبة الرّبّ وسلطانه : "جلس الرّبّ ملكا فوق الطّوفان، ويتربّع على عرشه إلى الأبد"[73]، وثانيهما فيه وصف لهول الطّوفان وجسامته وجبروت الرّبّ وسطوته، إذ يخاطب داود ربّه قائلا: "غمرتها باللجج كثوب فتغطّت رؤوس الجبال بالمياه من زجرك تهرب المياه ومن قصف رعدك تفرّ ارتفعت الجبال وغاصت الوِهَادُ إلى الموضع الذّي خصّصته لها وضعت حدّا لا يتعدّاه حتّى لا تعود مياهه تغمر الأرض"[74].

ولئن كان الطّوفان في الآيات سالفة الذّكر معبّرا عن قوّة الخالق وجبروته وانتقامه، فإنّ الطّوفان في سفر إشعياء جاء مذكّرا بعهد الربّ مع خلقه، ذلك العهد الذّي بمقتضاه قرّت نفوس الخلق بأنّ الطّوفان لن يعود ليغرق العالم مجدّدا، وبأنّ ميثاق الرّبّ مع خلقه يبقى ساريا ونافذا: "لأنّ هذا الأمر

---

[70]- السّقا أحمد حجازي : نقد التّوراة: أسفار موسى الخمسة: السّامرية، العبرانيّة، اليونانيّة ، دار الجيل بيروت1995م، ط1، ص132.

[71]- نترك الإجابة على هذا السّؤال للقسم النّقديّ إن شاء الله

[72]- أيّوب 12: 15.

[73]- المزامير 29 : 10.

[74]- المزامير 104 : 6 – 9.

نظير أيّام نوح حين أقسمت أن لا تعود مياه الطّوفان تفيض على الأرض، كذلك أقسمت أن لا أغضب عليك أو أزجرك"[75].

❖ الرّواية التّوراتيّة لقصّة الطّوفان على محكّ النّقد

مثّلت الرّواية التّوراتيّة المتعلّقة بالطّوفان مزيجا من المتناقضات العقليّة المشبعة بتكرار بليد لأحداث الطّوفان، وهو ما أملى رتابة على نسقيّة الأحداث في القصّة، يضاف إلى ذلك ما سنعرض له في الأسطر القادمة من تحريف شمل مختلف أجزاء هذه القصّة، فقد انتاب القصص في أسفار اليهود تحريف كبير عن الوضع الصّحيح الذّي ورد في القرآن، كما انطوى على كثير من مظاهر التناقض والغفلة والكذب والخطأ في الحساب وجمع الأرقام[76].

وسنحاول في هذا الإطار أن نتطرق إلى بعض هذه المتناقضات في شكل نقاط كبرى، وسنحاول أن يكون هذا الأمر مستفيضا بعض الشّيء حتّى يتبيّن للدّارسين وغيرهم ما يعتري الرّواية التّوراتيّة من خلل في هذا الباب.

- **النقطة الأولى:**

لاحظنا ونحن نواكب البناء العام لرواية الطّوفان في إصحاحات سفر التّكوين شيئا بل كثيرا من التّكرار لجملة الأحداث، وهو ما قد يوحي بأنّ كاتب التّوراة قد اعتمد أكثر من رواية في بناء قصّته حول الطّوفان. يقول **(Alain Marchadour)**:

« Depuis longtemps les spécialistes ont proposé d'y voir deux récits mélangés. De fait on constate des répétitions qui, logiquement, ne sont pas compatibles entre elles : La crue dure soit 40 jours (7,12) soit 150 jours (7,24) , Noé fait entrer soit une paire de chaque espèce d'animaux (6,19) soit sept paires d'animaux purs et une paire d'animaux impures (7,2) etc. la critique biblique à ainsi isolé dans le texte du déluge deux récits différents : l'un de tradition : yahviste et l'autre de tradition sacerdotale »[77*].

فـ"**Marchadour**" إذن يؤكّد على أنّ المختصّين قد افترضوا منذ زمن بعيد وجود نصّين قد تمّ المزج بينهما في نصّ واحد، إلاّ أنّ ذلك المزج لم يفرز نصّا متجانسا بل أكدّ تضاربا وتنافرا بين

---

[75]– إشعياء 54: 9.

[76]– وافي عليّ عبد الواحد: اليهود واليهوديّة، ص79.

[77] - Marchadour Alain : Gènes : commentaire pastoral, Boyard éditions, centurion 2éme édition 1999, p104.

[*]– انظر أيضا : الفولكلور في العهد القديم "لجيمس فريزر" 177/1.

التّصين المذكورين، وهو ما حاول"**Marchadour**" تأكيده من خلال تقديم مثالين وهما التّضارب الحاصل في مدّة الطّوفان وعدد الحيوانات المحمولة على السّفينة.

إنّ هذا قد جعل نقّاد الكتاب المقدّس يحصرون قصّة الطّوفان في نصّين مختلفين، إحداهما من التقليد اليهويّ والثّاني من التّقليد الكهنوتيّ، وهو ما يفسّر بالتّالي ذلك التّكرار المملّ والرّتيب للأحداث.

ولقد أوجد"كارم عزيز محمود"[78] تصنيفا لإصحاحات نصّ التّوراة المتعلّق بالطّوفان الذّي تضمنّه سفر التّكوين، فقسّمها وفقا للاسم المستخدم للدّلالة على الرّبّ، فهو يرى أنّ الرّواية اليهويّة استخدمت اسم (يهوه)، في حين استخدمت الرّواية الكهنوتيّة اسم(إيلوهيم).

ويمكن لنا أن نجسّم تقسيمه في الجدول التّالي:

السّفر	**اسم الربّ**	
	رواية يهويّة	رواية كهنوتيّة
التّكوين	يهوه	إيلوهيم
	الإصحاحات: *6: 5-6-7-8 *7: 1-5-16 ب *8: 20-21	الإصحاحات: *6: 9-11-12-13-22 *7: 9-16 أ *8:1-15. *9: 1-6-8-12-16-16

إنّ كلّ هذا إذن يفسّر تكرّر سبب الطّوفان مرّتين(6: 5-8 يهويّ /6: 11-12 كهنوتيّ)، وتكرّر قرار الطّوفان ثلاث مرّات (6: 7 /7: 4 يهويّ/6: 13 كهنوتيّ)، وكذلك تكرّر ذكر تاريخ الطّوفان من عمر نوح مرّتين (7: 11/6 كهنوتيّ)، وأيضا تكرّر ذكر عدد الحيوانات أربع مرّات (6: 7/19: 15 كهنوتيّ/7: 2-3 /7: 28 يهويّ)[79].

- **النقطة الثّانية:**

---

[78]- أنظر كتابه "أساطير التّوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم"، ص222.

[79]- لمن أراد أن يطّلع على جملة هذه التّكرارات وغيرها يمكنه العودة إلى كتاب "موريس بوكاي": "القرآن الكريم والتّوراة والإنجيل والعلم": دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف للنّشر القاهرة 1983 م، ص52 و53 وما بعدهما.

إنّ التّضارب الحاصل في تحديد عدد الحيوانات المحمولة على الفلك قد تضمّن إشارة إلى التّمييز بين الطّاهرة منها وغير الطّاهرة، وهذا في الواقع يستبعد أن يكون قد حصل في عصر نوح، لأنّ التّحريم في الحيوانات واعتبار المحرّم نجسا لم يكن إلاّ مع يعقوب، ثمّ مع شريعة موسى حيث حرّمت الخنزير وكلّ ذي ظفر وغير ذلك، ثمّ إنّ هذا التّمييز يبدو غير منطقيّ وغير ذي جدوى حينما يقول الله لنوح: "وكلّ حيّ يدبّ يكون لكم مأكلا"[80]، إذ لو كان التّمييز حاصلا فلماذا يقول الله لنوح هذا الكلام[81].

- **النقطة الثّالثة:**

نلاحظ في النّص التّوراتيّ للطّوفان طغيان تلك النّزعة الأنثروبومورفيّة[82] (**Anthropomorphique**)، فنرى أنّ الإله التّوراتيّ يندم ويتأسّف[83]، و يغلق باب الفلك على نوح[84]، ويشتمّ أو يتنسّم رائحة القربان أيضا[85]، فقد نسب النّصّ التّوراتيّ إلى الربّ جملة هذه الأفعال وهي (الأفعال) في الحقيقة تنفي عنه القدرة الكلّية اللائقة بمفهوم الرّبّ، فهي تحمل دلالات لا تليق بمفهوم الألوهيّة بل تهبط به إلى مستوى البشريّة.

- **النقطة الرّابعة:**

تحدّد التّوراة تاريخ الطّوفان بالسّنة السّتمائة من عمر نوح، وتعطي إشارات عن موقع نوح الزّمنيّ بالنّسبة لآدم وبالنسبة لإبراهيم وذلك من خلال قائمة الأنساب، فوفقا للحسابات المعمولة بالرّجوع إلى إشارات سفر التّكوين[86] التّي تقول بأنّ نوحا قد ولد بعد آدم بحوالي 1056 عاما، يكون الطّوفان قد وقع بعد 1656 عاما من خلق آدم، أمّا بالنسبة لإبراهيم فيحدّد سفر التّكوين الطّوفان بـ292 سنة قبل ميلاده.

---

[80]– تكوين 9: 3.

[81]– السّقا أحمد حجازي: نقد التوراة:أسفار موسى الخمسة السّامريّة، العبرانيّة، اليونانيّة، ص 129.

[82]– الأنثروبومورفيّة: كلمة تعني تشخيص الإله في صورة بشريّة.

[83]– تكوين 6: 6.(فندم الرّبّ على أنّه صنع الإنسان وتأسّف في قلبه).

[84]– تكوين 6: 16.(والدّاخلون دخلوا ذكورا وإناثا من كلّ ذي جسد كما أمر الله نوحا وأغلق الرّبّ عليه).

[85]– تكوين 8: 20–21.(وبنى نوح مذبحا للرّبّ وأخذ من جميع البهائم الطّاهرة ومن جميع الطّيور الطّاهرة فأصعد محرقات على المذبح، فتنسّم الرّبّ رائحة الرّضا).

[86]– أنظر "موريس بوكاي": "القرآن والتّوراة والإنجيل والعلم" ص49.

وبما أنّ الطّوفان قد عمّ مختلف أصقاع الأرض وجلّ البشريّة فإنّه قد توجّب على نوح ومن معه في السّفينة(زوجته مع أبنائه وزوجاتهم) إعادة تكوين البشريّة في مدّة تقارب الثّلاثة قرون وهو تاريخ ولادة إبراهيم الذّي سيجد الإنسانيّة وقد أعادت تكوين نفسها في مجتمعات، فهل هذا الزّمن اليسير كاف لإعادة بناء مجتمعات بشريّة كما في السّابق، طبعا لا فهذا أمر يصعب تصوّره[87].

- **النقطة الخامسة:**

ورد في سفر التّكوين(الإصحاح 6) أنّ الله تعالى قد غضب على النّوع البشريّ في عصر نوح فجعل أعمار أفراده لا تتجاوز 120 سنة[88] ثمّ يذكر كاتب التّوراة في الإصحاح 11 أنّ ساما بن نوح عاش 600 سنة، وعابر بن شالح 464 سنة[89]، وغيرهما ممّن تجاوز سنّ 120 سنة، وهذا دليل آخر على الغلط والتّناقض الذّي حكم الرّواية التّوراتيّة[90].

- **النقطة السّادسة:**

يشير سفر التّكوين إلى أنّ الطّوفان كان عامًّا وشمل كلّ الجنس البشريّ وكلّ الكائنات الحيّة، وقد رأينا قبل قليل أنّ الطّوفان قد حدث تقريبيّا قبل ثلاثة قرون من ميلاد إبراهيم عليه السّلام، وعمر سيدنا إبراهيم يحدّد بالسّنوات 1800 و1850 ق.م تقريبا ممّا يفيد أنّ الطوفان قد حدث في القرن 21 أو 22 ق.م.

ويفيد علماء التاريخ وغيرهم من علماء الأنثروبولوجيا أنّه قد ظهرت في تلك الفترة حضارات تواصلت عبر الأجيال ولم تنقطع، كحضارة الفراعنة بمصر (الدولة الوسطى الأولى) وحضارة البابليّين في "أور" (أسرة "أور"الثالثة) وهو أمر تؤكّده المعارف التّاريخيّة الحديثة، وهذا الأمر يفنّد المزاعم التّوراتيّة بأنّ الطّوفان كان كونيّا وشاملا[91].

- **النقطة السّابعة:**

---

[87]- محمود كارم عزيز: أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص224.وانظر أيضا "القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم" لموريس بوكاي ص53.

[88]- تكوين 6: 3.(فقال الرّبّ لا تثبت روحي في الإنسان للأبد لأنّه بشر فتكون أيامه مائة وعشرين سنة).

[89]- تكوين 11: 11.(وعاش سام بعد ما ولد أرفكشاد خمسمائة سنة فولد بنين وبنات). وتكوين 11: 17. (وعاش عابر بعدما ولد فالج أربعمائة وثلاثين سنة فولد بنين وبنات).

[90]- الظّاهريّ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنّحل، 1/147-148.

[91]- بوكاي موريس : القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص53-54 .

كنّا قد أشرنا في مستهل هذا الفصل إلى عدم ذكر الكتاب المقدّس لنبوّة نوح وقد يقودنا هذا إلى بعض الإشكالات العقديّة في الرّواية التوراتيّة، والتّي ذكرنا منها ما يتعلّق بتلك الأنثروبومورفيّة السّمجة للكاتب التّوراتيّ، أمّا الإشكالية الثّانية التّي نثيرها الآن فهي أنّ الله لم يعط للمشركين فرصة التّوبة بل أنزل بهم العقاب مباشرة، فلم تذكر لنا التّوراة بأنّ الله أمر نوحا بدعوة قومه[92]، إذن ففي عقابه لهم ظلم كبير.

○ **النقطة الثّامنة:**

لقد وصف الله تعالى نوحا عليه السّلام في إحدى إصحاحات سفر التكوين (الإصحاح 6 الآية 9)[93] بالبرّ والصلاح والكمال، ولكنّنا نجده يصفه في موضع آخر من نفس السفر(تكوين9: 21)[94] بالسُّكْرِ والتّعرّي، وهذا فعل مشين في حقّ نبيّ من الأنبياء ولربّما يكون الأمر ناتجا كالمعتاد عن خلط بين قصّتين مختلفتين كما يرى ذلك "كمال الصّليبيّ"، فهو يعتبر أنّ نوحا الذّي شرب الخمر ليس نوح الطّوفان، فالذّي عصر الخمر وشربه برأيه هو نوح رّجل الأدمة، فكان أنّ سكر وتعرّى، فرآه ابنه الأصغر كنعان فلمّا أفاق الأب من سكرته لعن ابنه، وقد استغلت التّوراة برأيه هذه القصّة وأعادت صياغتها وفق ما أرادته من مرامي عرقيّة تهدف إلى استعباد الكنعانيّين وتأكيد قدسيّة الجنس السّاميّ[95]،

يقول "كمال الصّليبيّ":"وهكذا قلب التّقليد"الكهنوتيّ" ما كان في الأصل فكاهة شعبيّة بريئة عن رجل اسمه نوح انكشفت عورته أمام بنيه وهو في حالة السّكر الشّديد إلى ملحق لأسطورة قبيلة نوح ومتفرّعاتها تفسّر كيف حلّت اللّعنة على قبيلة كنعان ...، أي أنّ التّقليد الكهنوتيّ أخذ القصّة وأدخل عليها ما أدخل لتبرير واقع تاريخيّ، وهو السّيطرة التّي صارت لبني إسرائيل على أرض كنعان"[96].

---

[92]– وردت إشارة إلى هذه الدّعوة في التّلمود تضمّنها حوار نوح مع قومه ذكرناها سابقا فلتراجعها.

[93]– تكوين 6: 9.(كان نوح رجلا بارًّا كاملا في جيله).

[94]– تكوين 9: 21.(وشرب من الخمر فسكر وتكشّف داخل خيمته).

[95]– الصّليبيّ كمال: خفايا التّوراة وأسرار شعب إسرائيل، دار السّاقي بيروت لبنان2006م، ط6، ص70-71.

– جاء الطّرح الذّي قدّمه "كمال الصّليبيّ" مفصّلا ولكنّنا حاولنا اختصاره، فلمن أراد العودة إليه مفصّلا فليراجع الكتاب من الصفحة 69 إلى الصفحة 73.

[96]– م ن، ص 71 بتصرّف.

فلعنة كنعان إذن كانت بمثابة الإذن الرّبانيّ لليهود باستعباد الكنعانيّين والسّطو على أرضهم والاستيلاء عليها، فقد أتى الرّبّ ليجلّل ساما بالسّيادة، ويصمّ كنعان بالعبوديّة موزّعا البركات واللّعنات بين هذا وذاك.

وليس أدلّ من هذا على العنصريّة اليهوديّة التّي تكرّسها التّوراة، فلقد استغلّ الكثيرون هذا الأمر لتكريس التّميّيز العنصريّ الذّي بقي يلقي بضلاله على العالم إلى اليوم، إذ أنّنا نجد اليوم علماء اللاّهوت المعاصرين يفسّرون لعنة نوح لكنعان بالآتي: "ولكن لعنة نوح لم تكن موجّهة إلى أي جنس معيّن من البشر بل إلى الأمّة الكنعانيّة (وهي أمّة كان الله يعلم أنّها ستصبح أمّة شرّيرة ورديئة)، وقد تحقّقت اللّعنة عندما دخل بنو إسرائيل أرض الموعد وطردوا الكنعانييّن منها"[97].

وهذا التّفسير التّبريريّ التّوثيقيّ للحادثة قد دأب عليه كتبة التّلمود وشرّاحه، من خلال محاولتهم وصف الإثم أو الخطيئة التّي من أجلها استحق كنعان وأحفاده اللّعنة، فكان تفسيرهم للحادثة ووصفهم لها أشنع وأفظع من الحادثة ذاتها إذ يشير "موريس دوري" إلى أنّ أحد الأسياد قد صرّح في التّلمود بانّ حامًا قد لاط نوحًا، وصرّح آخر أنّه قد خصاه، أمّا "ماهرال براغ" الذّي عاش في القرن 16م فقد رأى أنّ نوحًا هو من مارس الفعلين على حام[98]، وإنّ هذا مبيّن لقذارة وانحطاط فكر وأخلاق سدنة اليهود وكهّانهم على مرّ التّاريخ.

وحسبنا هنا من المؤاخذات ما قد ذكرنا، إذ أنّ الأمر قد يطول بنا إذا ما نحن في القول أفضنا، فغايتنا من المقول هي أن قد أوضحنا وبيّنا قصور فكر كاتب التّوراة وأثبتنا، وبالمؤيّدات من نصوص التّوراة استشهدنا وعلّلنا.

المطلب الثّاني: الطّوفان في نصوص العهد الجديد

لئن كانت قصّة الطّوفان في العهد القديم مفصّلة ومبوّبة ومرتّبة وفق تناسقيّة بنائيّة تؤسّس لرواية أو قصّة متكاملة العناصر أو الجوانب، فإنّها في العهد الجديد جاءت في شكل عبارات مقتضبة وإشارات عابرة ومبعثرة بين نصوص الأناجيل ورسائل القدّيسين.

97- التّفسير التّطبيقيّ للكتاب المقدّس، ص29، وانظر أيضا تفسير الكتاب المقدّس، 165/1.

98- دانزول ألبارتو: اليهوديّة والغيريّة، غير اليهود في منظار اليهوديّة، ترجمة ماري شهرستان، دار الأوائل للنّشر والتّوزيع والخدمات الطّباعيّة سوريّة دمشق 2004م، ط1، ص61.

وربّما كان ذلك معزوّا إلى الصّبغة الوظيفيّة لقصّة الطّوفان في العهد الجديد، فقد جاءت الإشارات التّي ذكرنا قبل قليل بمثابة الحِكَمِ والمواعظ التّي يُرجى من خلالها التّأثير في الكائن الإيمانيّ، ويُبتغى بواسطتها تحقيق الاستقامة الدّينيّة إن صحّ التّعبير.

ويمكننا أن نحصر ورود خبر الطّوفان في العهد الجديد في ستّة مواضع بالأساس، فقد ذكر طوفان نوح مرّة في إنجيل متّى (24: 37–38–39)، ومرّة في إنجيل لوقا (17: 26–27)، ومرّة في رسالة بطرس الأولى (3: 20)،ومرّتين في رسالته الثّانية (2: 3/5: 5–6)، ومرّة في الرّسالة إلى العبرانيّين (7: 11).

هذه إذن هي جملة المواضع التّي ذكر فيها الطّوفان في العهد الجديد، وسنتطرّق إلى ذكرها واحدة واحدة إن شاء الله، مردفين ذلك ببعض الشّرح والتّوضيح .

جاء في إنجيل متّى: "وكما كانت الحال في زمن نوح كذلك ستكون عند رجوع ابن الإنسان، فقد كان النّاس في الأيّام السّابقة للطّوفان يأكلون ويشربون ويتزوّجون ويزوّجون حتّى فاجأهم اليوم الذّي دخل فيه نوح السّفينة، ونزل الطّوفان وهم لاهون فأخذ الجميع، هكذا ستكون الحال عند رجوع ابن الإنسان"[99].

ويتجلّى لنا من خلال هذه الآيات النّفس الوعظيّ المبنيّ على الوعيد والتّرهيب، فهذه الآيات تتنزّل في إطار بيان علامات نهاية الزّمان ورجعة المسيح، فعيسى– عليه السّلام – قد طلب من تلاميذه ومن المسيحيّين جميعا من خلال هذه الآيات أن يكونوا على استعداد دائم لقيام السّاعة ولمجيء ابن الإنسان، فيتسلّحوا بالبرّ والقداسة على الدّوام، ويظلوا ساهرين لا يغفلون طرفة عين لئلا يقع ذلك بغتة في أي لحظة.

لأنّه كما حدث في أيّام نوح حين أتى الطّوفان في لحظة مفاجئة فأهلك العالم الشّرير، هكذا يكون مجيء ابن الإنسان يوم الدّينونة ليهلك الأشرار، فقد كان النّاس في الأيّام السّابقة للطّوفان منغمسين في اهتماماتهم العالميّة وشهواتهم البهيمّية، يأكلون ويشربون ويتزوّجون ويزوّجون لاهين عن حياتهم الرّوحيّة ومطمئنين إلى حياتهم الجسديّة، على الرغم من الإنذارات التّي وجهها إليهم نوح، غير عارفين ولا مؤمنين بالأبديّة التّي حدّثهم عنها، والتّي كانوا على عتبتها، حتّى جاء الطّوفان فجأة فجرفهم وأهلكهم جميعا ما عدا نوحا الذّي دخل الفلك فنجا، لأنّه كان قدّيسا بارا، هكذا سيكون حال

99– متى 24: 37–38–39.

النّاس عند مجيء ابن الإنسان فيباغتهم اليوم الرّهيب في لحظة لا يتوقّعونها، وعندئذ يتمّ في قوّة رهيبة فرز الأبرار[100].

فالطّوفان كما ذكره إنجيل متّى إذن فيه مدعاة لأخذ العبرة ممّا حلّ بقوم نوح الكافرين نظير عصيانهم لدعوة الربّ على لسان نوح.

وليس ببعيد من هذا ما أورده "لوقا" في إنجيله بشأن الطّوفان، فالآيات ذاتها تكاد تتكرّر حرفيّا كما في إنجيل "متّى" إذ يقول "لوقا": "وكما حدث في زمان نوح هكذا أيضا سوف يحدث في زمان ابن الإنسان، كان النّاس يأكلون ويشربون ويتزوّجون ويزوّجون إلى اليوم الذّي دخل فيه السّفينة وجاء الطّوفان فأهلك الجميع"[101].

ويرى اللاّهوتيّون المسيحيّون أنّ المراد من هاتين الآيتين، هو أنّ الربّ يسوع قد حذّرهم من الإحساس بالأمان الكاذب وبأنّ عليهم أن يتنازلوا عن قيم وارتباطات هذا العالم، حتّى يكونوا مستعدّين لمجيئه الذّي سيكون بصورة مفاجئة فمتى جاء لن تكون هناك فرصة أخرى فهو يأخذ البعض معه ويترك الآخرين خلفه[102].

أمّا رسالتي بطرس الأولى والثّانية فقد تضمّنتا وصفا لتعنّت البشر إزاء دعوة نوح وما لحقهم من عقاب جرّاء ذلك، يقول بطرس: "وذلك بعدما رفضوا البشارة في أيّام نوح عندما كان الله يتأنّى صابرا طوال المدّة التّي كان نوح يبني فيها السّفينة التّي نجا بها عدد قليل من النّاس عبر الماء ثمانية أشخاص فقط"[103]، فقد وصفت هذه الآية معاندة قوم نوح له مع الإشارة إلى السّفينة وبنائها الذّي دام مدّة من الزّمن ظلّ فيها الله حليما بعباده إلى أن حلّ بهم الطّوفان الذّي نجا منه ثمانية فقط كما تخبر الآية.

وتصف رسالة بطرس الثّانية أيضا عدم إدراك البشر وتناسيهم لعظمة الرّبّ الذّي هو قادر متى ما شاء أن يدمّر العالم بعدما أوجده :" إنّهم يتناسون عمدا، أنّه بكلمة من الله وجدت السّماوات منذ القديم، وتكوّنت الأرض من الماء وبالماء، وبكلمة منه أيضا دمّر العالم الذّي كان موجودا في ذلك الزّمان، إذ فاض الماء عليه"[104].

---

[100]– الإنجيل للقدّيس متّى (القسم المخصّص للتّفسير)، دار المعارف للنّشر القاهرة، د ت، د ط، ص239.

[101]– لوقا 17: 26 –27.

[102]– التّفسير التّطبيقيّ للكتاب المقدّس، ص2133.

[103]– رسالة بطرس الأولى 3: 20.

[104]– رسالة بطرس الثّانية 3 : 5 – 6.

وبالمثل يؤكّد الإصحاح الثّاني من هذه الرّسالة هذه الحقيقة فيصف قوم نوح بالفجّار ويعدّ نوحا في مصاف الأبرار: "كذلك لم يشفق على العالم القديم عندما أحدث الطّوفان على عالم الفاجرين، إلاّ أنّه حفظ نوحا المنادي ببرّ الله وعدله، وكان نوح واحدا من ثمانية أشخاص نجوا من الطّوفان"[105].

ونلاحظ هنا بعض التّناقض في أقوال بطرس، فمن ناحية هو يصف الله تعالى بالرّحمة والحِلْمِ ويؤكّد إمهاله لعباده وانتظاره لتوبتهم (رسالة بطرس الأولى3: 20)، ومن ناحية أخرى نجده يصفه بعدم الشفقة بالعالم وبالمسارعة بعقابه(رسالة بطرس الثّانية 2: 5).

وإن كنّا قد ذهبنا إلى هذا التّأويل فإنّ أصحاب "تفسير العهد الجديد" يرون غير ما أوعزه إلينا فكرنا المتواضع، حيث يرون أنّ عدم الإشفاق هذا يراد منه أنّ الله إنّما ينجّي البارّ فحسب ويبقي الشّرير في العذاب إلى يوم الدّين[106].

إنّ هذا التّفسير وإن بدا في ظاهره منطقيّا إلاّ أنّه – في نظرنا– لا يعدو أن يكون محاولة سمجة لاستيعاب التّناقض الصّارخ بين الآيتين المذكورتين.

أمّا فيما يتعلّق بما ورد في الرّسالة إلى العبرانيّين–كما قد كنّا أشرنا إلى ذلك في بداية هذا الفصل– فإنّه قد كان بمثابة التّنصيص على نبوّة نوح وبرّه وصلاحه مع ذكر برقيّ لخلاصه من الطّوفان صحبة أهل بيته في الفلك الذّي بناه[107].

إنّ ما يمكن قوله فيما يتعلّق بقصّة الطّوفان في العهد الجديد هو أنّها لم تكن حاملة تماما لمواصفات القصّة كمثيلتها في العهد القديم، بل اقتصر الأمر فيها على مجرّد ذكر بعض الشّذرات أو المحطّات التّي يرام من خلالها تنميّة الوازع الدّينيّ لدى طائفة البشر كما ذكرنا.

ورغم كون هذه الشّذرات قد كانت غير ذات إفادة كبرى في دراسة الطّوفان في الكتاب المقدّس، إلاّ أنّنا قد ارتأينا ذكرها لنكون بذلك قد أحطنا بالمسألة في نصوص الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد.

المبحث الثّاني: قصّة الطّوفان في الفكر الدّينيّ الكتابيّ

---

[105]– رسالة بطرس الثّانية 2 : 5.

[106]– تفسير العهد الجديد، مكتبة السّائح طرابلس، جمعيّات الكتاب المقدّس في المشرق، بيروت لبنان1987م، ط2، ص610.

[107]– راجع في ذلك: الرّسالة إلى العبرانيّين 11: 7.

لقد تبيّن لنا في دراستنا لقصّة الطّوفان من خلال نصوص الكتاب المقدّس ذلك التّداخل والتّضارب الحاصل بين روايتيّ التّوراة (اليهويّة والكهنوتيّة)، والذّي بدا بعضه واضحا وجليّا في حين استدعى البعض الآخر شيئا من التّقصّي والتّحليل لبيانه.

ولقد تبيّن لنا أيضا ذلك الاختلاف الجزئيّ بين طوفان العهد القديم وطوفان العهد الجديد، والمتمثّل بالأساس في الجانب التّفصيليّ، حيث جاءت قصّة الطّوفان في العهد القديم مسهبة في التّفصيل، وعلى العكس من ذلك كانت مثيلتها في العهد الجديد، هذا إن صحّت تسميتها بقصّة، فقد جاءت في شكل إشارات عابرة وتوضيحات مؤثّرة تؤكّد هول الطّوفان وعظمته.

إنّ هذه الاختلافات وإن كانت نصوصيّة بالأساس قد تردّد صداها في الفكر الدّينيّ لعلماء الدّيانتين اليهوديّة والمسيحيّة، حيث طفق أهل هاتين الدّيانتين من علماء ومفكّرين يخصفون عليهم من المعاني التّوليديّة والأبعاد الرّمزيّة التّي تكتنزها قصّة الطّوفان، لذلك سنحاول في هذا المبحث أن ننظر ونشاهد قصّة الطّوفان بعيون مفكريّ اليهود والنّصارى.

المطلب الأوّل: الطّوفان ومدلولاته في الفكر الدّيني اليهوديّ

❖ الطّوفان: الشرّ والخطيئة والنّجاة

استهلت قصّة الطّوفان في النصّ التّوراتيّ بالآتي:"ولمّا ابتدأ النّاس يكثرون على وجه الأرض، وولد لهم بنات استحسن بنو الله بنات النّاس، فاتّخذوا لهم نساءً من جميع من اختاروا"[108]، هذه الآية وإن بدت غير واضحة وغامضة بعض الشيء، فإنّها تؤكّد ارتباطا أو زواجا عجائبيّا بين كائنات مختلفة من حيث التّركيب والقوّة، فهو زواج بين كائنات خارقة وأخرى عاديّة، زواج بين أبناء الله وبنات النّاس.

ودونما خوض في السّجالات التّفسيريّة لهذا المنطوق التّوراتيّ، فإنّ الذّي يعنينا هنا هو أنّ هذا الزّواج الشّهوانيّ – الذّي أطاع فيه أبناء الله شهواتهم واستنكفوا عن خدمة أبيهم وانشغلوا بالجمال الجسديّ – ستكون نتيجته الحتّميّة اختلاط الأبرار المباركين بالأشرار الملعونين وزيغ الكلّ وفسادهم. وهذا الاختلاط بدوره سيفرز –وفق ما تفيد التّوراة– أولادا طغاة جبابرة: "وكان على الأرض جبابرة في تلك الأيام وبعد ذلك أيضا حين دخل بنو الله على بنات النّاس فولدن لهم أولادا، هم الأبطال المعروفون منذ القدم"[109]، فهؤلاء الأولاد أفسدوا في الأرض فكثرت الشّرور والآثام لذلك صارت

108– تكوين 6 : 1 – 2.

109– تكوين 6 : 4.

الحاجة متأكدّة إلى تنقية العالم من هذه الشّرور وإعادة تجديده، وذلك لن يكون إلاّ بطوفان يطهّر العالم من دنس الشّرّ الإنسانيّ.

إنّ "أولاد الله" (أو أولاد الآلهة) نجد لهم ذكرا في مواضع عديدة في العهد القديم، خصوصا في سفر أيّوب حيث نجدهم يدخلون إلى بلاط الله السّماوي ويقيمون معه حديثا[110]، وربّما تستند هذه الكلمة بدورها إلى أساطير غير يهوديّة أخذها شعب إسرائيل في فترة السّبي كما رأينا في القسم الأوّل من هذا الفصل.

ولكن استعمال هذه الكلمة في الموضع الذّي ذكرنا قبل قليل – أي في إطار الخطيئة – يجعلنا نفكّر في معنى آخر قد يكون غريبا بعض الشّيء، وهو أنّ هذا الأمر من معتقدات الشّعوب الأخرى التّي اعتنقها شعب الله، أي عبادة الآلهة الغريبة والتّي كان يحدث خلالها ما يعرف بـ"الدّعارة المقدّسة" أو "البغاء المقدّس"، أي ممارسة الفسق أو الجنس في إطار احتفال دينيّ تكريما لإله من الآلهة الغريبة[111].

لذلك فخطيئة شعب الله والإنسان قبل الطّوفان هي في تركه لله وعبادته لآلهة غريبة سعيا وراء الحياة الأبديّة، وهي نفس خطيئة "آدم" و"حوّاء" ونفس خطيئة "قايين"، فكأنّنا بالكاتب التّوراتيّ يسير في نصّه وفق نسقيّة استرداديّة يهدف من ورائها إلى تذكيرنا بخطيئة آدم وحواء الخطيئة الأولى ثمّ خطيئة "قايين" ليصل بنا إلى خطيئة قوم نوح، ولعلّه يرمي من خلال ذلك إلى بيان ملازمة الخطيئة للكائن البشريّ.

لقد تمثّلت خطيئة قوم نوح في ذلك العنف والشّرّ الذّي تفاقم واستشرى وهي خطيئة اجتماعيّة إن صحّ التعبير، إذ هي اعتداء على حقوق الآخرين عن إرادة مسبقة بدافع من الطمع والحقد، وفي غالب الأحيان من خلال استعمال القوّة الجسديّة العنيفة، وهو ما تؤكدّه الآيات التّوراتيّة التّي تشير إلى تكاثر الشّرور وامتلاء الأرض فسادا في زمن نوح.

وخطيئتهم أيضا تتمثّل في زيغهم عن المسلك أو المسار التّوحيديّ إلى عبادة وثنيّة صنميّة أخرى، وإذا ما أردنا أن نلخّص خطايا قوم نوح – التّي أوجبت عليهم عقاب الله الذّي ابتدأ بإعقام نسلهم ثمّ بإرسال طوفان عليهم– لحصرناها في اثنتين:

1 – الشّهوة التّي أدّت إلى انحراف وفساد أولاد الله.

2 – عبادة القوّة والمجد والبحث عن الصّيت ونسيان العالم الآخر.

---

[110]– أيّوب 42: 7-8.

[111]– راجع في ذلك "موسوعة الأديان السّماوية والوضعيّة"، دار الفكر اللّبنانيّ بيروت1994م، 1/29-31.

وهما خطيئتان كافيتان لإحلال عقاب الرّبّ بقوم نوح لذلك كان الطّوفان.
فالطّوفان إذن هو رمز للدّمار الذّي يسبّبه الإنسان لنفسه وللعالم بسبب خطيئته، دمار شخصيّ ودمار جماعيّ، فخطيئة الإنسان أيام نوح لم تكن مجرّد خطيئة شخصيّة بل خطيئة جماعيّة شاملة فسد فيها قلب الإنسان وامتلأ شرّا وفسدت الأرض وامتلأت عنفا، والطّوفان كان نتيجة لهذا الفساد، ولعلّ ما يُسْتَجْلَى من مفهوم الخطيئة الذّي كرّسته قصّة الطّوفان التّوراتيّة هو أنّ العقاب الإلهيّ العادل للخطيئة هو الموت، لذلك كان الطّوفان مبيدا لكلّ من عصى نوحا ودعوته.
وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الآية المذكورة في الإصحاح السّادس من سفر التّكوين:"ورأى الرّبّ شرّ النّاس قد كثر على الأرض وأنّ كلّ تصوّر أفكار قلوبهم إنّما هو شرّ في جميع الأيّام"[112] – والتّي عبّر فيها الكاتب التّوراتيّ بعبارة "رأى الرّبّ" – تعيدنا إلى قصّة الخلق: "رأى الرّبّ أنّه حسن"[113]، حيث يبدو أنّ ما خلقه الله وصنعه ثمّ رآه حسنا سيدمّر كليّا ليبقى فقط ما هو حسن أي نوح "فإنّي رأيتك بارا أمّامي في هذا الجبل"[114].
فالمياه عنصر مشترك بين قصّة الخلق وقصّة الطّوفان، ولكن كانت المياه في الأولى مفرزة للخلق بينما كانت في الثّانية مسببة للغرق والموت، حيث كان الطّوفان بمثابة التّجديد للخليقة والمحاولة الإلهيّة لإعادة بني آدم إلى حالتهم الأولى، حالة السّلام بين الكائنات، فالطّوفان يعيد الخلائق إلى حالة اللا وجود بعد الوجود المسبوق بدوره باللا وجود (أي بالعدم)، فمع أنّ الماء هو المشترك الأساسيّ بين القصّتين إلاّ أنّنا نجد في البناء العامّ لكلّ قصّة نقيضا لمثيله في القصّة الأخرى، وربّما قد يتضّح هذا الكلام بالجدول الآتي:

الأحداث في قصّة الخلق	الأحداث في قصّة الطّوفان

112– تكوين 6: 5.
113– تكوين 1: 10.
114– تكوين 7: 1.

-الله يفصل المياه عن اليابسة.	-المياه تعود فتغطّي اليابسة.
-جعل الرّقيع (أو الجلد) ليفصل بين مياه المحيط ومياه الغمر العظيم.	-تفتّحت نوافذ الغمر العظيم.
-خلق الله كلّ الحيوانات والزّحافات والبشر.	-ماتت كلّ الحيوانات والزّحافات والبشر.
-نفخ الله نسمة حياة في آدم.	-كلّ من في أنفه نسمة حياة مات.

إذن فبسبب العنف (عنف الإنسان) دمّرت الخليقة وأعيدت إلى حالة مشابهة لحالة العدم الأولى، فالإنسان حسب المؤلّف التّوراتيّ هو الذّي دمّر الأرض وليس الله، فبالعنف أعاد الإنسان الأرض إلى حالة الخواء والخلاء، حالة ما قبل الخلق أي حالة ما قبل اللّحظة التّي رأى الله فيها الأرض جميلة (في قصّة الخلق)، أي أنّ العنف يدمّر الجمال ويدمّر إرادة الله في خليقته.

ونجد في العهد القديم نصوصا أخرى تؤيّد هذا المعنى، مثل الآيات التي تضمّنها الإصحاح السّابع من سفر حزقيال[115]، والتّي تصوّر العقاب والإبادة اللّذين حلاّ بالبشر في ذلك الزّمن على أنّهما نتيجة لعنف الإنسان وشرّ قلبه، فالنتيجة كانت دمار "أورشليم"، ودمار الأرض بالطّوفان لم يكن – حسب التّوراتيّين– إلاّ رمزا لدمار "أورشليم" بسبب شرور الإنسان وآثامه.

وهكذا إذن يتحوّل الطّوفان إلى رمز للشرّ ولعالم الموت، ولكنه في نفس الوقت يعد رمزا لميلاد جديد، لعالم جديد،عالم قد تمّ تطهيره وتنقيته من كلّ الشرور، عالم نرى فيه نوحا آدم جديدا، فقد نجا نوح لكونه بارا وكاملا في جيله، فهو قد سمع كلمة الله فأطاعها وآمن بها وهو بهذه المواصفات مثال لآدم إذ أنّه سيعيد تشكيل الإنسانيّة من جديد كما فعل آدم في بداية الخلق.

❖ رمزيّة الرّقم 40 عند اليهود[116]

للرقم 40 وقعه الخاصّ ورمزيّته البالغة في الفكر اليهوديّ فهذا الرّقم يمثّل مدّة الطّوفان: "وكان الطّوفان أربعين يوما على الأرض"[117]، وهي ذات المدّة التّي صامها موسى منتظرا وحي الرّبّ أربعين يوما وأربعين ليلة، فقد جاء في سفر الخروج ما يلي:"واختفى موسى في وسط السّحاب وصعد

---

[115]– انظر سفر حزقيال 7: 1–27، وانظر في هذا المعنى أيضا الإصحاح الأوّل بأكمله من سفر مراثي إرمياء.

[116]– قد تطرّق الباحث "André wenin" إلى بيان هذه الرّمزيّة في الكتاب المقدّس (العهد القديم) فانظر مقاله:
"Quarante jours de déluge sur la terre" Biblia n 11 Aout / septembre 2002 p12 .

[117]– تكوين 7: 17.

إلى الجبل حيث مكث هناك أربعين نهارا وأربعين ليلة"[118]، ولقد ذكر القرآن الكريم هذا الأمر في سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ البقرة/51.

وصام "إيليا" نفس المدّة (40 يوما) في سبيل ملاقاة الرّبّ وهو ما يؤكّده سفر الملوك الأوّل: "ومسّه ملاك الرّبّ ثانية قائلا "قم وكل لأنّ أمامك مسافة طويلة للسفر" فقام وأكل وشرب ومشى بقوّة تلك الوجبة أربعين نهارا وأربعين ليلة حتّى بلغ جبل الله حوريب"[119].

ومدّة الأربعين يوما هذه هي عين المدّة التّي أمهل فيها الرّبّ أهل نينوى ليتوبوا، يقول سفر يونان: "فدخل يونان المدينة واجتاز فيها مسيرة يوم واحد وابتدأ ينادي قائلا: "بعد أربعين يوما تتدّمر المدينة""[120].

والرّقم أربعون يمثّل أيضا عدد السّنين التّي حكم فيها الرّبّ على بني إسرائيل بالتّيه في الأرض، إذ يصف لنا سفر التّثنية تأهّب بني إسرائيل للدخول إلى أرض الموعد، وهو دخول كان مسبوقا بخطاب لموسى قدّم فيه لشعبه نصائح هامّة[121]، وذلك بعد أن قضوا فترة الحكم بالتّيه: "ففي اليوم الأوّل من الشّهر الحادي عشر(شباط، فبراير) في السّنة الأربعين خاطب موسى بني إسرائيل بكلّ ما أوصاه به الرّبّ إليهم"[122]، وقد تطرّق القرآن الكريم إلى هذه المسألة إذ قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ ﴾ المائدة/26.

يتبيّن لنا من خلال ما ذكرنا إذن ما للرّقم 40 من حضور ورمزّية طاغيين في الكتاب المقدّس عموما والعهد القديم خصوصا وفي الفكر اليهوديّ تحديدا، ولئن ركّز علماء اليهود على هذا الرّقم ورمزيّته فإن المسيحيّين قد سارعوا إلى إضفاء هالة من الرّمزيّة على أرقام أخرى ذكرت في قصّة الطّوفان وسيرد ذكرها في محلّها لاحقا بإذن الله.

❖ سفينة نوح وهيكل سليمان: مثليّة البناء ورمزيّته

لم يكن بناء نوح للسّفينة – طوق النّجاة – إلاّ استجابة لنداء الرّبّ وطاعة لأمره، وقد اقتضى هذا البناء مواصفات دقيقة قد منّ الرّبّ على نوح بذكرها، فما كان من نوح إلاّ أن التزم بتلك المواصفات وشيّد الفلك العظيم لتكون النّجاة ويحظى بعهد الرّبّ.

---

[118]– الخروج 24: 18.
[119]– الملوك الأوّل 19: 7–8.
[120]– يونان 3: 4.
[121]– انظر سفر التثنية 1: 1–8.
[122]– تثنية 1: 3.

إنّ هذا التّتالي لأحداث بناء الفلك – وفق هذا التّدرّج والتّرتيب – نجده متطابقا تطابقا شبه تام، بل تامّا مع ما جاء في التّوراة بشأن بناء هيكل سليمان وما أعقبه من عهد الله له، وربّما قد يتّضح هذا الأمر بجلاء ووضوح إذا ما أقمنا مقارنة بسيطة بين بناء فلك نوح وعهده مع الرّبّ وبناء هيكل سليمان وعهده مع الرّبّ أيضا:

فلك نوح	هيكل سليمان[123]
*الخشب الذي تمّ به بناء الفلك هو خشب السّرو (الجفر)(تكوين 6: 14).	*استعمل خشب السّرو في بناء الهيكل (الملوك الأوّل 6: 15).
*ذكرت مواصفات بناء الفلك (الطول، العرض، الارتفاع، الطّبقات: ثلاث طبقات)(تكوين 6: 14-16).	*ذكرت مواصفات بناء الهيكل بشيء من التّفصيل (الطول، العرض، الارتفاع، الطّبقات: ثلاث طبقات)(الملوك الأوّل 6: 1-2).
*بنى نوح مذبحا للرّبّ بعد نجاته (تكوين 8: 20).	*بنى سليمان مذبح النّحاس في هيكله (أخبار الأيّام الثاني 4: 1).
*بعد بناء الفلك وتحقّق النّجاة يقيم الرّبّ عهده مع نوح (تكوين 9: 11 – 13).	*بعد أن أتمّ سليمان بناء الهيكل كان له مع الرّبّ عهد (الملوك الأوّل 9: 2-8).

إنّ هذا التّماثل وهذا التّطابق الذّي تفرزه هذه المقارنة قد يقودنا ولو ضمنيّا إلى المخيال اليهوديّ الذّي يرى في فلك نوح رمزا للهيكل الذّي يخلّص كلّ الأمم، فكما مثّل فلك نوح الخلاص له ولأبنائه الذّين ستخرج منهم كلّ الأمم سيمثل هيكل بني إسرائيل الخلاص لجميع الأمم، فالفلك بهذه الشّاكلة يصبح رمزا للهيكل، بل ورمزا لشعب إسرائيل أي للإنسان الوفيّ لكلمة الرّبّ.

❖ **مذبح نوح هل هو ذاته مذبح آدم وابنيه؟**

يرى كثير من الباحثين المتخصّصين في الأنثروبولوجيا الدّينيّة وتاريخ الأديان أنّ هذا الأمر يبقى واردا بل وقد يكون مؤكّدا، وقد ذهب بعض الباحثين المسلمين المعاصرين[124] إلى هذا الأمر

---

[123]– لمن أراد أن يطّلع على تفاصيل ومواصفات بناء هيكل سليمان بالدّقة التّي وصفت بها في التّوراة له أن يعود إلى سفر الملوك الأوّل الإصحاح السّادس بأكمله، وإلى سفر أخبار الأيام الثّاني الإصحاح الثالث بأكمله، أمّا بشأن عهد الرّبّ مع سليمان فيمكن العودة إلى سفر أخبار الأيّام الثّاني الإصحاح السّابع من الآية 13 إلى الآية 22، وإلى سفر الملوك الأوّل الإصحاح التّاسع من الآية 1 إلى الآية 9.

[124]– لجنة تأليف كتاب "طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام".

مؤكّدين أنّ القرآن الكريم قد ذكر أنّ الله أنزل نوحا منزلا مباركا إثر الطّوفان، وهذا المنزل المبارك لا يمكن أن يكون إلاّ البيت (المذبح) الذّي بناه آدم من قبل.

إنّ هذا الرأي وإن كان فيه ضرب من التّأويل يبقى جديرا بالاعتبار، فهذا التّصوّر أو التّخمين الذّي ذكرناه لم يكن حكرا على هؤلاء بل سبقتهم إليه إحدى الكتب المقدّسة لليهود، فقد جاء في التّرجوم[125] تفصيل لمواطن استقرار الأمم الأولى وحضاراتها، وورد فيه بشأن مذبح نوح ما يلي:

« Noé construisit un autel devant le seigneur : c'est là l'autel qu'avait bâti Adam au temps où il fut chassé du jardin d'Eden et sur lequel il avait offert une oblation et sur lequel Caïn et Abel avaient offert leurs oblations. Mais il avait été détruit lorsque dexendirent les eaux du Déluge.Noé le reconstruisit donc »[126].

وربّما قد يتمّ الحسم في مدى معقوليّة هذا الطّرح إذا تضافرت جهود الأركيولوجيّين وعلماء التّاريخ مستقبلا.

❖ قوس قزح ونظريّة العهد اليهوديّة

كما هو معلوم فإنّ المشهد الختاميّ لطوفان نوح– الذّي تُوِّجَ بنجاة نوح ومن معه في الفلك – قد تضمّن ذكرا لقوس قزح الذّي يمثّل علامة ميثاق الرّبّ وعهده مع نوح[127].

فماهو قوس قزح؟ وماهي خلفيّته الأسطوريّة؟ وهل أنّ في اتّخاذ التّوراة له ميثاقا وبشرى أمان وسلام سرّا أم ماذا؟

قوس قزح هو عبارة عن ظاهرة طبيعيّة تحدث رزمة ضوئيّة مقوّسة مؤلّفة من سبعة ألوان (بنفسجيّ، أزرق نيليّ، أزرق سماويّ، أخضر، أصفر، برتقاليّ، أحمر)،وتظهر هذه الصّورة في السّماء بعد أن تخفّ شدّة هطول الأمطار بسبب تساقط بقايا رذاذات المطر، أي بعد أن تفرغ الغيوم ثقل حملها ولا يبقى من الأمطار إلاّ بقايا القطيرات التّي يتأخّر سقوطها لدقّة حجمها وخفّتها.

وقد لاحظ الإنسان منذ القدم هذه الظاهرة وتعلّم أنّ ظهور القوس الملوّن في السّماء لا تعقبه أمطار كثيرة، وبالتّالي ينتفي الخوف، وأكثر ما يكون قوس قزح مشاهدة حينما تكون الشّمس من خلف

---

[125]– هو الترجمة الكلدانيّة للعهد القديم.

[126]-Targum Pseudo – Jonathan (à Gn 8,20), traduction de Roger le Déaut, éditions du cerf, collection « sources chrétiennes » n°245 p 127.

نقلا عن: Biblia n°11 Aout/ Septembre 2002 p15

[127]– انظر تكوين 9: 12 – 17.

النّاظر إلى الغيوم، فالنّور الذّي تعكسه تلك الرّذاذات الدّقيقة والمختلفة الأبعاد يعطي ألوان قوس قزح[128].

أمّا عن الخلفيّة الأسطوريّة لقوس قزح ففي أسطورة الطّوفان البابليّة (جلجامش) أنّ الآلهة "عشتار" بعد انقضاء الطّوفان رفعت عقدها اللازورديّ وقالت:

[أيّها الآلهة الحاضرون كما لا أنسى هذا العقد اللاّزورديّ يزيّن عنقي

فإنّني لن أنسى هذه الأيام قطّ سأذكرها دوما][129].

وفي الميثولوجيا اليونانيّة كانت إيريس **(Iris)** ابنة فلور**(Flore)** رسولا من قبل الآلهة إلى أهل الأرض، فكانت تصل السّماء والأرض بوشاحها**(écharpe)** ذي الألوان السّبعة، يقول**(André Wénin)**:

« Elle reliait terre et ciel avec son écharpe aux sept couleurs, Depuis, l'expression «l'écharpe d'Iris» est devenue le nom poétique de l'arc-en-ciel »[130].

ومن هذا نفهم أنّ **(André Wénin)** يرجع كلمة قوس قزح إلى هذه الأسطورة اليونانيّة، خصوصا مع ما نلحظه من تماثل في عدد الألوان بين وشاح إريس **(Iris)** وقوس قزح فهي سبعة ألوان في كليهما.

وحول دلالة قوس قزح في العهد القديم نجد رأيّ النّبيّ حزقيال الذّي يرى بأنّ صورة قوس قزح ليست سوى تعبيرا عن مجد الرّبّ وعظمته، يقول حزقيال: "وكان منظر اللّمعان المحيط به كمنظر قوس قزح في يوم مطير، هكذا كان منظر شبه مجد الرّبّ"[131].

وقد تناولت بعض الآراء رمزيّة قوس قزح –الذّي هو علامة للعهد– فافترضت أنّه قد وضع كرمز طبيعيّ أو ماديّ وحسّيّ للعهد (الميثاق)، وهذا الافتراض يحتمل تفسيرين متناقضين، فإمّا أنّ قوس قزح كان موجودا منذ القديم ثمّ خصّص كرمز للميثاق بين الله وخلقه، وإمّا أنّه ظهر أوّل مرّة عقب الطّوفان ليكون كعهد من الله لخلائقه، ولقد صاغ الكاتب اليهوديّ "جرشوم شولم" هذا التّفسير الأخير بلغة شعريّة رائقة، فاعتبر أنّ قوس قزح كما لو كان"آخر عمل ملوّن رائع من أجل تمام وكمال

---

[128]– حنا حنا: دراسات توراتيّة، دار الأوائل للنّشر والتّوزيع والطّباعة، سورية دمشق2003م، ط1، ص177.

[129]– السّوّاح فراس: جلجامش ملحمة الرّافدين الخالدة، دار كيوان للطباعة والنشر والتّوزيع دمشق سورية 2009م، ط1. ص227، للمقارنة انظر: تكوين 9: 16–17.

[130]- Biblia n11,Aout / Septembre 2002 p19.

[131]– حزقيال 1 :28.

الخلق"، فهو يرى أنّ قوس قزح بما فيه من انسجام واتّساق في الألوان يشير إلى طبيعة العهد أو الميثاق، فظهور هذا القوس وتكرّر حدوثه يعتبر ضمانا لسلامة وجود العالم وإبطالا لقانون العقوبة المرعب[132].

ويرى بعض شرّاح التّوراة القدامى "كإبراهيم بن عزرا" و"نحمانيدس" أنّ قوس قزح كان علامة على ميثاق الصّلح والاتّفاق بعد نفاذ العقوبة، وأنّ صورة القوس وهيأته أيضا تشبه خفض السّيف أو إغماده عقب القتال[133].

فالقوس إذن هو رمز لعهد الربّ مع خلقه، عهده مع نوح ومع من تلاه من أنبياء بني إسرائيل. ولكن ما الذّي تعنيه كلمة "العهد" في الكتاب المقدّس؟

لا غرو إذا قلنا أنّ هذه الكلمة تعتبر كلمة مفتاحا في الكتاب المقدّس، فقد تكرّر ذكرها فيه كثيرا، ولكن هذه الكلمة في صياغتها العبريّة تمثّل إشكالا كبيرا بالنّسبة للمترجمين وذلك لصعوبة إيجاد ترجمة وفيّة للّفظ العبريّ لهذه الكلمة، وقد أكّد **(Alain Marchadour)** في كتابه: **«Genèse commentaire pastorale»**هذه الحقيقة حيث يقول:

« ce terme (l’alliance / BERITH) est l’un des plus caractéristiques de la Bible (289 fois), au point que beaucoup d’auteurs voient en lui le concept clé qui articule l’ensemble de la Bible. C’est sans doute vrai, mais à condition de mesurer la difficulté de traduire ce terme hébreu berith »[134].

ويرى **(Marchadour)** أنّ اختيار أغلب المترجمين لكلمة عهد **(alliance)** كترجمة للكلمة العبريّة **(Berith)** هو اختيار لا يتناسب وكلّ ترجمات التّوراة، فالكلمة لا تفيد هذا المعنى في التّرجمة السّبعينيّة مثلا، يقول موضّحا هذا الأمر:

« La plupart des traducteurs ont choisi "alliance" qui suppose un engagement réciproque ou bilatérale ; mais ce n’est pas toujours le cas. La Septante l’a traduit par diatbèkè : acte par lequel quelqu’un dispose de ses biens, de manière unilatéral, comme dans un testament, d’où le latin testamentum »[135].

---

[132]– محمود كارم عزيز: أساطير التّوراة الكبرى وتراث الشّرق الأدنى القديم، ص221.

[133]– م ن، ص221.

[134]–Marchadour Alain : Genèse commentaire pastoral, p 113

[135]– م ن، ص113.

وعلى العموم فإنّ التّرجمات وإن اختلفت في ترجمة معنى هذه الكلمة إلاّ أن معظمها وأغلبها يكرّس مفهوم العهد أو الميثاق كترجمة لها.

كيف يفهم اليهود عهد الرّبّ مع نوح؟

يرى اليهود أنّ الرّبّ لما أغلق باب الفلك على نوح ومن معه كان يحمي بذلك شعبه أي شعب بني إسرائيل، وأنه لما عاهد نوحا بعدم إغراق الأرض بطوفان الماء مجدّدا، ووعد بحفظ عهده مع خلقه وجعل قوس قزح علامة على ذلك، إنّما هو يحفظ عهده مع شعبه شعب بني إسرائيل(شعب اللّه المختار)، ويجعل رمز عهده مع هذا الشّعب التّوراة أو الشّريعة بدلا من قوس قزح.

ولعلّ ما قد يستخلص من نظريّة العهد عند اليهود أنّه(العهد) ميثاق سماويّ بين الرّبّ وكل أنبياء بني إسرائيل، فالعهد هو عهد واحد بحفظ شعب بني إسرائيل ورعايته وتفضيله على سائر شّعوب العالم، ولكن علامة أو رمز العهد تختلف من نبيّ إلى آخر، فلئن كانت التّوراة مع موسى هي العلامة فإنّ العلامة مع النّبيّ سليمان هي الهيكل، وكذا يكون الأمر مع سائر أنبياء بني إسرائيل فلكلّ علامته.

❖ بعد الدّينيّ لقصة الطوفان في فكر اليهودل

لئن مثّلت قصص الطّوفان الأسطوريّة الوسيلة الشّعبيّة أو الطريقة المجازيّة التّي عبّر بها القدماء عن فضاء فلسفيّ أو موقف أخلاقيّ، لخّصوا فيه بإيجاز تجارب طويلة مرّت بالجنس البشريّ كما يفيد بذلك "ول ديورانت" في كتابه "قصة الحضارة"[136]، فإنّ أهميّتها لدى أهل الأديان لم تكن فيما تقصّه من قصص بل فيما تعرّضه من أحكام وعبر.

لذلك تطوّر مفهوم الطّوفان حتّى أخذ شكل احتفالات وطقوس ستتبلور أكثر ما يكون مع المسيحيّين فيما بعد، فقد تحوّلت الإصحاحات الواردة في سفر التّكوين والمتعلّقة بطوفان نوح إلى شبه أوراد يتلى كلّ وِرْدٍ منها في مواقيت معيّنة مضبوطة ومحدّدة، وبرنامج تلاوتها هو كالآتي:

النّص	زمن تلاوته	
تكوين 6: 1-4	تقرأ هذه الآيات يوم الجمعة لثاني جمعة الصّوم	يمثّلان معا القراءة الحادية عشرة بالنّسبة للمتعبدين وذلك ضمن

[136]– انظر "ول ديورانت": "قصّة الحضارة ": الشّرق الأدنى، ترجمة زكي نجيب محمود ومحمّد بدران، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب2001م، المجلد الأوّل 2/1 ، ص369-370.

تكوين 6: 5-8	تقرأ هذه الآيات تاسع ساعة من يوم الثلاثاء من جمعة التّضحية.	سفر التّكوين.
تكوين 6: 9-22	تقرأ هذه الآيات يوم الاثنين الثّالث من الصّوم.	يمثّل هذا النّصّ القراءة الثّانية عشرة.
تكوين 7: 1-5	تقرأ هذه الآيات يوم الاثنين الثّالث من الصّوم.	يمثّل هذا النّصّ القراءة الثّالثة عشرة.
تكوين 7: 6-9	تقرأ هذه الآيات يوم الاثنين الثّالث من الصّوم.	يمثّل هذا النّصّ القراءة الرّابعة عشرة.
تكوين 7: 10-24 تكوين 8: 1-3	تقرأ هذه الآيات عشيّة يوم الخميس الثّالث من الصّوم.	يمثّل هذا النّصّ القراءة الخامسة عشرة.
تكوين 8: 4-20	تقرأ هذه الآيات عشيّة يوم الجمعة من ثالث جمعة الصّوم.	يمثّل هذا النّصّ القراءة السّادسة عشرة.
تكوين 8: 21-22 تكوين 9: 1-7	تقرأ هذه الآيات عشيّة يوم الاثنين الرّابع من الصّوم.	يمثّل هذا النّصّ القراءة السّابعة عشرة.
تكوين 9: 8-17	تقرأ هذه الآيات يوم الأربعاء الرّابع من الصّوم.	يمثّل هذا النّصّ القراءة الثّامنة عشرة.
تكوين 9: 18-28 تكوين 10 : 1-32	تقرأ هذه الآيات يوم الأربعاء الرّابع من الصّوم.	يمثّل هذا النّصّ القراءة التّاسعة عشرة.

قد يتبادر إلى البعض أنّ هذا التّقسيم الزّمنيّ[137] لتلاوة النّصوص المقدّسة الواردة في سفر التّكوين بشأن الطّوفان لدى المتعبّدين اليهود هو أمر عاديّ وطبيعيّ، ولكن تأمّلا فطنا لهذا التّقسيم قد يوحي إلى صاحبه بأنّه تقسيم غير عاديّ، فهو تقسيم دقيق للغاية، وربّما كانت هذه البرمجة الدّقيقة لعمليّة

[137]- راجع في هذا التّقسيم كتاب "التّوراة ترجمة عربيّة عمرها أكثر من ألف عام"، تحقيق وتقديم سهيل الزّكار، دار قتيبة للطّباعة والنّشر والتّوزيع2007م، ط1، ص115-123.

تلاوة هذه النّصوص المقدّسة تهدف إلى غايات روحيّة يراد بالمتعبّد اليهوديّ الإحاطة بها واستيعابها وتفعيلها في واقعه.

لقد مثّلت قصّة الطّوفان في الفكر اليهوديّ مرتعا خصبا للرّمزيّة والتّأويليّة، حيث شحذ مفكرو اليهود كلّ تراث بني إسرائيل وما يحويه من مواثيق وعهود مع الرّبّ، وأوجدوا بينه وبين وقائع طوفان نوح روابط رمزيّة تمثّل محاولة لإضفاء طابع من الشّرعيّة على ما به يدينون، ولتكريس جملة من النّظريّات اليهوديّة كنظريّة العهد المبرم بين الرّبّ وبني إسرائيل الذّي هو شعب الله، وغيرها من النّظريّات والمزاعم الأخرى التّي لا طائل من ذكرها.

وإذا كان اليهود قد أعملوا التّأويل في نصّ الطّوفان فأغرقوه برموز قد يضيق البحث عن استيعابها، فإنّ المسيحيّين لم يكونوا بأحسن منهم حالا في هذا، بل كانوا بدورهم مغرقين في الرّمزيّة إلى مدى تجاوز الأفق التّأويليّ اليهوديّ.

المطلب الثّاني: رمزيّة الطّوفان في الفكر الدّينيّ المسيحيّ

لقد أضفى المسيحيّون هالة عظيمة من القداسة والرّمزيّة على الطّوفان، فعيون الرّمز بطوفان نوح قد تفجّرت ودروس الدّين في حكمه قد سطرت، حتّى لقد أغرق نبعها زخات آيات الكتاب المقدّس، فأصبحت لصورة المسيح ترمز وتؤسّس، والذّي نريده بذلك أنّ الكتّاب والمعلّقين المسيحيّين قد أجزلوا التّرميز لقصّة الطّوفان، فأقحموا المعاني والدّلالات وفكّكوا الألفاظ والعبارات، وجعلوا الرّمز هو المدار وروّجوا لما لدينهم فيه الانتصار.

اعتبر كثير من الآباء المسيحيّين أنّ الطّوفان بوقائعه المنتظمة ليس إلاّ مجمع حكم وتعاليم ومقاصد ربّانية تتجاوز حدود المسطور، مستكنهين في ذلك السّطور لكي يصلوا إلى المعنى المغمور، فالأب "ديفو" مثلا قد أشار في مقدّمة ترجمته لسفر التّكوين إلى أنّ التّوراة وإن قدّمت ذكريات سيل واحد مدمّر وقع بوادي دجلة والفرات، جاعلة منه كارثة كونيّة، فإنّ ذلك لا يهمّ، وإنّما جوهر المسألة عنده هو أنّ الكاتب الدّينيّ قد حمّل هذه الذّكرى بتعاليم أزليّة عن رحمة الله وعدله مقابل قبح الإنسان وخبثه.

فهو يرى أنّ المفهوم الأساس في قصّة الطّوفان هو معنى الخلاص الذّي يمنح للعادل دون سواه، فأسطورة الطّوفان ترتقي مع الأبّ "ديفو" إلى حدث إلهيّ المستوى يصوّر درسا دينيّا له مراميه

ومقاصده الإيمانيّة[138]، ويؤكّد "جوستين" في كتابه "الحوار""**Le dialogue**"على الثّراء الرّوحيّ والعقديّ لسرّ الطّوفان مشيرا إلى رمزيّة بعض الأرقام والمكوّنات فيه[139]، إلى غير ذلك من الآراء التّي تضفي طابع الرّمزيّة على طوفان نوح والتّي سنحاول الإحاطة ببعضها في هذا المطلب.

❖ مياه الطّوفان مسح لخطايا البشر

إنّ مفهوم الخطيئة في فكر المسيحيّين لا يختلف كثيرا عن مثيله لدى مفكّري اليهود، ولكن ربّما كان مكمن الاختلاف بين هذا الفكر وذاك- في هذا المستوى- هو التّمثيل الرّمزيّ لمحو الخطيئة ولجزائها، فلئن لبس هذا التّمثيل في التّوراة لبوس الزّجر والعقاب فإنّه قد تحلّى عند المسيحيين بحلّة الفداء والرّحمة والثّواب، فالإبادة الحاصلة بمياه الطّوفان – في عيون المسيحيين –ليست إبادة للخلق فإنّ الله لا يريد إبادة البشريّة التّي خلقها بل يريد إبادة الخطيئة، ونوح في نظرهم هو استباق لشخص المسيح الذّي من خلال كنيسته سفينة العهد الجديد يخلّص كلّ البشريّة، ويمحو كلّ خطاياها بواسطة ماء المعموديّة.

وبهذا يتحوّل الطّوفان إلى رمز للمعموديّة، فالله تعالى–برأيهم- كان قادرا على إرسال ملاك يقتل الخطاة ولكنّه شاء إغراقهم بالطوفان، وهذا الأخير يشير إلى التّجديد بالمعموديّة، فبالطّوفان ماتت بعض الخليقة، وبالطّوفان نجا بعضها في الفلك، وإنّ هذا ليمثّل رمزا للمعموديّة التّي هي دفن وقيامة مع المسيح، فالدّفن هنا هو رديف للموت والقيامة هي رديفة للنّجاة[140].

يقول القدّيس بطرس واصفا نجاة الخليقة من الطّوفان:"وعمليّة النّجاة هذه مصوّرة في "المعموديّة" التّي لا نقصد بها أن نغتسل من أوساخ أجسامنا، بل هي تعهّد ضمير صالح أمام الله بفضل قيامة يسوع المسيح"[141].

فبالعموديّة يتّحد الخيّرون بيسوع المسيح الذّي يفصلهم عن الضّالين ويعطيهم حياة جديدة، فالذّي يخلّصهم ليس طقس المعموديّة في حدّ ذاته بل الإيمان بموت المسيح وقيامته، فكما أنّ الطّوفان قد

---

[138]- بوكاي موريس: القرآن الكريم والتّوراة والإنجيل والعلم : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، دار المعارف للنّشر القاهرة 1983م، ص 55 .

[139]- م ن، ص56.

[140]- تفسير الكتاب المقدس: إصدار كنيسة السيّدة العذراء بالفجالة مصر القاهرة 2008م، ط1، ص 83.

[141]- رسالة بطرس الأولى 3: 21.

مثّل انتقالا من حالة الشّرّ والخطيئة إلى حالة الخير والفضيلة، فإنّ المعموديّة تمثّل رمزا للتّغيير الذّي يحدث في قلب من يؤمن، أي رمزا لذلك الانتقال من حالة الكفر إلى حالة الإيمان[142].

وفي الحقيقة إنّ نتائج تأملاّت الكاردينال "دانيلو" "**Danielo**" بشأن الطّوفان – والتّي وردت بمجلة "الله الحيّ" "**Dieu Vivant**" تحت عنوان "الطّوفان والتّعميد والحكم" – تؤكّد هذا الأمر، فهو يشير إلى أنّ التّقليد الكنسيّ الأقدم يرى في لاهوتيّة الطّوفان صورة للمسيح وللكنيسة، كما يرى فيه أيضا حدثا ذا دلالة عظيمة[143].

ولعلّ المشترك الأساسيّ بين مياه الطّوفان ومياه المعموديّة هو من ناحية الفعل والتّأثير فكلتاهما تمثّل تطهيرا وتنقية من الذّنوب والشّرور والآثام، فهذا الطّرح قد تأكّد مع التّفسير السّيكولوجي[144] للطّوفان، الذّي مؤداه أنّ الطّوفان فناء وإذابة تامّة للخطايا والذّنوب، وظهور لخلق جديد، طاهر، نظيف، غير محمّل بأعباء الذّنوب، فالمياه تطهّر وتغسل الخطايا.

وإذا ما كان الطّوفان يعني ولادة جديدة وخلقا جديدا، فإنّ كلّ شيء يتعلّق بالمياه يعني تكرار رمزيّا لميلاد جديد، لإنسان جديد[145]، لذلك فنوح في المخيّلة المسيحيّة يرمز للمسيح رأس الخليقة الجديدة، والطّوفان يرمز لإعادة التّشكّل والتّكوّن وفق المواصفات الإلهيّة الخيريّة.

❖ الأرقام الطّوفانيّة والرّمزيّة المسيحيّة[146]

اكتست الأرقام الواردة في قصّة الطّوفان – سواء أكان ذلك في التوراة أو في الإنجيل – صبغة رمزيّة صرفة، فقد أخذ روّاد الفكر الدّينيّ المسيحيّ يغرقون هذه الأرقام بوابل من الرّمزيّة المفتعلة أحيانا والمطوّعة أحيانا أخرى لخدمة التّوجّه أو المسار الدّينيّ المسيحيّ عموما.

---

[142]– التّفسير التّطبيقيّ للكتاب المقدّس ص2801.

[143]– بوكاي موريس: القرآن الكريم والتّوراة والإنجيل والعلم، ص56.

[144]– قد قدّم بعض المتخصّصين في علم النّفس جملة من التّفسيرات السّيكولوجيّة للطّوفان، ويمكن في ذلك مراجعة مقال (SILVAIN BOUYER) أستاذ علم النّفس الإكلينيكيّ بجامعة نانسي (2) بعنوان:
« Est –il possible de se reconstruire ? » وأيضا مقال (GERARD BONNET) (طبيب متخصّص في علم النّفس) بعنوان: « La pudeur est –elle utile ? »، وقد ورد كلا المقالين بمجلّة:
(Biblia n11Aout /septembre 2002 de la page 30 à la page 34).

[145]– محمود كارم عزيز: أساطير التّوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم ص194-195.

[146]– انظر في ذلك تفسير الكتاب المقدس: إصدار كنيسة السيّدة العذراء بالفجالة مصر القاهرة 2008م، ص95-96.

فإنّنا نجد مثلا تركيزا مفرطا فيه على الرّقم (3) ورمزيّته، فهذا الرّقم الذّي يجسّد عند المسيحيين حقيقة الثّالوث المقدّس (الآب، الإبن، الرّوح القدس)، يمثّل في قصّة الطّوفان عدد طوابق فلك نوح، ويمثل أيضا طوله (300 ذراع) وارتفاعه (30 ذراعا)، وخيط الرّمز الذّي حاكه المسيحيّون بين هذه الدّلالة وتلك يمكن تمثيله أو توصيفه في الجدول الآتي:

الرّقم	وظيفته في الطّوفان	دلالته الرّمزيّة عند المسيحيّن
3	هذا الرّقم يمثّل عدد المرّات التّي أطلق فيها نوح الحمامة ليتحقّق من جفاف اليابسة (تكوين 8: 8-12).	*في المرّة الأولى لم تجد الحمامة لرجلها مقرّا، وفي ذلك إشارة إلى النّفس الملتهبة بالرّوح القدس التّي تأبى أن تعيش وسط الجيف،فتنجذب نحو الفلك لتجد يد المسيح ممتدّة لتحملها إلى أحضانه. *وفي المرّة الثّانية عادت الحمامة حاملة غصن الزّيتون الذّي هو رمز للسّلام. *أمّا في المرّة الثّالثة فقد خرجت الحمامة ولم تعد وفي ذلك إشارة إلى انطلاق الموكب كلّه إلى الأرض الجديدة، إلى حيث تنعم النّفس بالأبديّة. *الرقم 3 يشير أيضا للقيامة فالمسيح عند المسيحيين قد قام من بين الموتى في اليوم الثّالث بعد صلبه.
	هذا الرّقم يمثّل عدد طوابق الفلك (مساكن سفليّة ومتوسّطة وعلويّة تجعله: تكوين 6: 16).	المؤمن حين يدخل لجسد المسيح كمبتدئ يكون في مساكن سفليّة ويتدرّج في الصّعود حتّى يصل إلى أعلى الدّرجات ⇐ التّرقّي في درجات النموّ الرّوحيّ.
30 ذراعا	هذا الرّقم يمثّل علو أو ارتفاع الفلك(تكوين 6: 15)	30: هي السّنّ التّي بدأت فيها خدمة المسيح، فهي سنّ النّضج وكان الكهنة يبدؤون فيها خدمتهم الكهنوتيّة.
300 ذراع=100 X3	هذا الرّقم يمثّل طول فلك نوح (تكوين 6: 15).	الرّقم 100 يرمز إلى قطيع المسيح الذّي آمن به والرّقم 3 يرمز للثّالوث المقدّس. ⇐في ذلك استباق لهيكل الكنيسة المؤمنة بالثّالوث.

يتضح من خلال هذا الجدول إذن ما قدحه الرّقم (3) في فكر المسيحيّين من رموز ولدت جملة من المعاني والعبر لديهم.

ولم تقتصر الحياكة الرّمزيّة على الرقم (3) بل تجاوزته إلى غيره من الأرقام الطوفانيّة، فالرقم(7) مثلا له دلالات رمزيّة هامّة عند المسيحيّين، فهذا الرّقم وإن مثل في وقائع الطّوفان المدّة التّي استغرقها نوح في إدخال الحيوانات إلى الفلك(7أيام)[147]، فإنّه عندهم يمثّل إشارة إلى الكنيسة التّي تفتح أبواب الرّجاء لكلّ إنسان كلّ أيام الأسبوع.

أمّا الرّقم (8) الذّي يمثّل عدد النّاجين في الفلك– فقد كانوا ثمانية أشخاص– فهو عندهم يشير إلى الحياة فيما بعد الزّمن، فأيام زمن هذا العالم (7 أيام) يأتي بعدها الدّهر الآتي والحياة الأبديّة التّي تتجسّد في الخلاص بعد القيامة العامّة للمسيح، فنوح هنا وهو ثامن النّاجين يرمز إلى المسيح المخلّص.

وهذه الرّمزيّة (رمزية الرّقم8) قد تطرّق إليها " أوريجين"(**Origène**) في مواعظه عن حزقيال (**Homélies sur Ezéchiel**)، و"جوستين" (**Justine**) في كتابه "الحوار" (**Le dialogue**)، الذّي يرى أنّ هذا اليوم قد وهب كرمز لليوم الذّي ظهر فيه المسيح المبعوث من بين الموتى[148]، معتبرا أنّ نوحا هو الوليد الأوّل لخلق جديد وأنّه صورة للمسيح الذّي حقّق ما يمثله هو (أي نوح)[149].

وفيما يتعلّق بالرّقم (2)[150] ، فقد أوجد المسيحيّون لهذا الرّقم دلالة رمزيّة كغيره من الأرقام الأخرى، فقد رأوا في دخول الحيوانات اثنين اثنين إلى الفلك والبشر أيضا – فنوح وأولاده لم يكن لكلّ واحد منهم سوى زوجة واحدة – رأوا في كلّ ذلك رمزا للرّباط الأبديّ الذّي يجمع بين الزّوجين ويثنيهما عن التّفكير في الانفصال أو التّغيير أو التّعداد، وهذه خصيصة مسيحيّة تقام لها مراسم كنسيّة ويباركها ويوّثقها الآباء المسيحيّون.

وإلى جانب هذه الأرقام نجد الرّقم (10) حيث تشير الآية (5) من الإصحاح (8) من سفر التّكوين إلى أنّ مياه الطّوفان كانت تنقص نقصانا متواليا إلى الشّهر العاشر، وإلى أنّ رؤوس الجبال ظهرت في العاشر من أوّل الشهر، ولئن اقترن الرّقم (10) هنا بظهور رؤوس الجبال، فإنّه في تصوّر

147– تكوين 7: 10.

148– ما نلاحظه هنا هو تضارب آراء المسيحيّن في تحديد يوم قيامة المسيح من بين الموتى بعد صلبه فمرّة نراه يقوم في ثالث يوم وأخرى في ثامن يوم.

149– بوكاي موريس: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص56.

150– تكوين 7: 9.

المسيحيّين رمز للوصايا العشر التّي بتنفيذها ظهرت في حياتهم رؤوس جبال الفضائل بل وظهر فيهم المسيح نفسه.

❖ فلك نوح رمز الكنيسة والصّليب

مثّل فلك نوح طوق النّجاة بالنّسبة إليه وإلى من معه، فقد كان المبتغى بهذا الفلك هو النّجاة من أمواج مياه الطّوفان وهولها، وما يلاحظه المسيحيّون في هذا الباب هو أنّ في الفلك رمزا لكنيستهم، فكما أحاطت التّيارات واللّجج بالفلك ولم يغرق، فإنّ التّجارب والآلام قد أحاطت وتحيط بالكنيسة ولم تغرقها، فأبواب الجحيم –برأيهم– لن تقوى على كنيستهم[151].

والفلك في تصوّرهم أيضا هو رمز للكنيسة لأنّه قد حمل أو احتوى كل الأجناس (البشر، الدّواب، الطّيور..)، والكنيسة بدورها قد شملت اليهود والأمم الأخرى من كل العالم، وهذا في الواقع تلميح صريح بل وتصريح فعليّ بعالميّة دعوة السّيد المسيح، ولعّل ما يشرعن لتصوّرهم هذا وجود بعض الكنائس في الطّقس المعماريّ على هيأة فلك[152].

إنّ هذه الرّمزية الكنسيّة للفلك تأخذ مداها لتشمل الفلك ومكوّناته، فباب الفلك الذّي دخل منه كلّ من نجا من الطّوفان مثلا فيه دلالة على المسيح الذّي يعتبر الباب للتّائبين والباب للخلاص، أمّا الفتحة الموجودة في الفلك(الكوّة)، فهي تمثّل عند المسحيّين المنارة السّماويّة التّي تريهم أمجاد السّماء بعد التّعبّد والصّلاة، فهم من خلال هذه الفوهة أو المنارة يشاهدون جزءا من هذه الأمجاد فيفرحون ويزداد اشتياقهم لذلك[153].

وبما أنّ الكنيسة هي جسد المسيح في التّصوّر المسيحيّ، فإنّ الطّوفان والفلك يرمزان بالتّالي إلى المسيح، فكما أنّ الفلك قد تحمّل الأمواج المتلاطمة والرّياح العاتية، فإنّ المسيح قد تحمّل الدّينونة والعواصف ولجج مياه الموت في سبيل خلاص البشريّة ونجاتها، وما جعل باب الفلك في جانبه إلاّ إشارة لذلك الجرح الذّي أحدثته الحربة في جنب المسيح والذّي منه فاضت الأسرار التّي بها انضم المؤمنون به إلى عضويّته[154].

---

[151]– انظر متّى 16: 18.(وعلى الصّخر هذا سأبني كنيستي فلن يقوى عليها سلطان الموت).

[152]– تفسير الكتاب المقدس: إصدار كنيسة السيّدة العذراء بالفجالة مصر القاهرة 2008م ، ص83.

[153]– م ن، ص83. .

[154]– م ن، ص83 و89.

كما أنّ طلاء فلك نوح بالقار –الذّي كان أمرا طبيعيّا لحمايته من المياه– هو رمز لحماية الكنيسة من تيّارات وهجمات العالم، فنوح قد جاهد في سبيل بناء الفلك، والمسيحيّون يجاهدون في سبيل حماية الكنيسة، ونقصان العمل بالنّسبة إلى نوح أو إليهم يتكفّل الله بإتمامه[155].

ولم تقتصر دلالات الفلك ورمزيّته على الكنيسة بل شملت الصليب أيضا، إذ أنّنا نجد كثيرا من المعلّقين المسيحيّين ينصّون على ذلك بل ويؤكّدون عليه، فنجد "جوستين"(Justine) مثلا يعقد لهذه الرّمزيّة مقارنة بأكملها، إذ يقارن بين نوح الذّي أنقذه خشب السّفينة من جانب، والمسيح الذّي أنقذه خشب الصّليب من جانب آخر ،ويقارن أيضا بين مياه الطّوفان التّي أنقذت نوحا وجعلت فلكه يطفو وبين مياه المعموديّة (التّعميد) مؤكّدا أنّ التّماثل يكمن في ذلك الميلاد الجديد الذّي تحدثه هذه المياه أو تلك[156].

ثمّ إنّ الخشب عموما يرمز – عند المسيحيّين – إلى الصّليب، لذلك فخشب الفلك هو رمز لصليب المسيح، وخشب السّفينة أو الفلك كان من الخشب الجفر، وهناك آراء تؤكّد أنّ كلمة"جفر" من نفس أصل كلمة تكفير فبصلب المسيح كانت الكفارة والحياة والخلاص لكلّ البشرية، فالفلك إذن هو رمز للصّليب الذّي حمل المسيح معلّقا من أجل الخليقة[157]، لذلك فإنّ هذا التّصوّر يجعل من الفلك تطبيقا عمليّا للآية "صلب العالم لي وأنا صلبت للعالم"[158].

❖ قربان نوح وذبيحة المسيح (الأفخارستيا)

إنّ أوّل عمل قد قام به نوح إثر انتهاء الطّوفان هو تقديم قربان أو ذبيحة للرّبّ شكرا وعرفانا أن نجّاه وأهل بيته من الطّوفان، فكما بدأت حياة آدم على الأرض بذبيحة هكذا تبدأ الحياة الجديدة لنوح بذبيحة يقدّمها للرّبّ، وذبيحة نوح هذه أو قربانه هذا ليس القربان الأوّل في تاريخ البشريّة فقد كانت قبله قرابين آدم وابنيه قابين وهابيل.

ولكن تقديم هذه الذبيحة لم يكن ليتمّ إلاّ بعد أن غسلت مياه الطّوفان الأرض، ليقيم نوح بعد ذلك مذبحا ويقدّم قربانه، ويرى المسيحيّون في ذلك إشارة إلى أنّ الكنيسة لا تقدر أن تقدّم ذبيحة السّيّد المسيح (الأفخارستيا) إلاّ بعد التّمتّع بالمعموديّة التّي تغسل الخطايا والذنوب.

155– م ن، ص88.

156– بوكاي موريس: القرآن الكريم والتّوراة والإنجيل والعلم، ص56–57.

157– تفسير الكتاب المقدس: إصدار كنيسة السيّدة العذراء بالفجالة مصر القاهرة 2008م ، ص83 و88.

158– الرّسالة إلى أهل غلاطية 6: 14.

ولقد حظي نوح بمرضاة الرّبّ، فقد تنسّم يهوه رائحة الرّضا، والمسيحيّون بخيالهم الرّمزيّ الخصب يؤكّدون على أنّ في هذا الأمر إشارة إلى أنّ الله كان يرى في الذّبائح المقدّمة رمزا لابنه المحرقة الحقيقيّة التّي بها بدأت حياة البشريّة الجديدة مع الله، وبهذا فإنّ ما عمله نوح مثّل رمزا لعمل المسيح الذّبيحيّ لكنيسته، ، ومذبح نوح مثّل أيضا رمزا للصّليب الذّي علّق فيه المسيح فصار سببا لنزع اللّعنة عن الأرض[159].

ثمّ إنّ رضا الرّبّ عن نوح كان مصحوبا بختم أو توقيع وهو قوس قزح، وكما كنّا قد رأينا في بداية هذا المبحث فإنّ ألوان قوس قزح تنتج بعد أن تسقط الشّمس نورها على قطرات المطر[160]، والمسيحيّون هنا قد استنبطوا كعادتهم دلالة رمزيّة لهذه العلامة (القوس) ذات التّوقيع الإلهيّ، فاعتبروا في هذا الإطار أنّ هذا العهد هو رمز للمسيح شمس البرّ الذّي يرسل نوره على قطرات الماء، وما الألوان المتعدّدة للقوس برأيهم إلاّ إعلان عن إحسانات اللّه وعطاياه .

فالقوس والمسيح عندهم هما على حدّ السّواء يمثّلان علامة حب قدّمها اللّه لخلقه، وبهذه الشّاكلة فإنّ القوس بألوانه هو إعلان لمجد المسيح ووساطته بين الأرض والسّماء، فكما أنّ القوس يصل السّماء بالأرض فإنّ المسيح ييسّر ذلك للخليقة[161].

❖ الطّقوسيّة المسيحيّة للآيات الطّوفانيّة:

لقد تطوّر مفهوم الطّوفان عبر تاريخ المسيحيّين حتّى أخذ شكل احتفالات أو طقوس التّعميد والتّطهير، فالماء في التّصوّر المسيحيّ – وحتّى في غيره من التّصوّرات–يعتبر رمزا للتّطهّر والتّخلّص من الخطايا، وسيكولوجيّة التّطهير هذه نابعة من ذات الإنسان وخياله، ثمّ إنّ التّقييم الخلقيّ هو الأساس أو المصدر الرّئيسيّ الذّي يعطي الماء هذه القدرة أو الفعاليّة للإحساس بقيمة التّطهّر[162].

وبكلام آخر يمكن القول أنّ الطّوفان أو الآيات المتعلّقة بالطّوفان في الكتاب المقدّس قد أصبح لها حضور قويّ في قُدّاَسِ المسيحيّين، فبالنسبة للكاثوليك مثلا كانت هذه الآيات أو المقاطع تقرأ في القدّاس (**la liturgie**) الرّوماني طيلة الأسبوع السّادس من الزّمن العاديّ، وقد كان من بين نُظُمِ

[159]– تفسير الكتاب المقدس: إصدار كنيسة السيّدة العذراء بالفجالة مصر القاهرة 2008م ، ص96.

[160]– انظر "دراسات توراتية" لحنّا حنّا، ص177.

[161]– تفسير الكتاب المقدس: إصدار كنيسة السيّدة العذراء بالفجالة مصر القاهرة 2008م... م س، ص101.

[162]– محمود كارم عزيز: أساطير التّوراة الكبرى وتراث الشّرق الأدنى القديم، ص196.

هذا القدّاس أو بروتوكولاته أن يتمّ الإنصات إلى النّصّ الكتابيّ كما هو دون تحليل أو فهم خاصّ له.

وترى طائفة الكاثوليك أنّ هبة الحريّة التّي منحها الرّبّ لقوم نوح إثر نجاتهم من الطّوفان، ليست إلا عطاءً أو نتاجا استباقيّا لصلب المسيح وافتدائه للعالم، فكأنّما ثمن الحريّة الإنسانيّة هو قربان المسيح أو جسده.

ويعتبر نصّ الطّوفان بالنّسبة للكاثوليك نصّا معلنا عن حكمة الرّبّ الذّي أقام عهده مع البشر، وجعل بينه وبينهم ميثاقا علامته قوس قزح، وشعلة الرّمز التّي قد أنارت أذهان الكاثوليك في هذا الجانب هي أن قد عقدوا تمثيلا بين قوس قزح وكأس النّعمة (المباركة /المعموديّة) فجعلوا المشترك الغائيّ بينهما متمثّلا في الرّمز للعهد الرّبانيّ مع الخليقة، وهو عهد تبلور عبر قرون هذا الزّمان ليكون مختوما في السّرّ الفصحيّ للمسيح[163].

أمّا بالنّسبة لطائفة البروتستانت فيرى الخطاب الدّينيّ البروتستانتيّ في هذا العهد رمزا للرّبّ الذّي أعلن فساد سريرة البشر وعدم نقاوة قلوبهم فأرسل عليهم ماء الطّوفان لمسح خطاياهم وليعقب هذا المسح العهد، فعلامته، وإذا كانت هذه العلامة هي القوس بالنّسبة لنوح، فإنّها تكون لسائر الخليقة جبل (Golgotha) حيث افتدى المسيح الخلق على الصليب[164].

أمّا الكنيسة الأورثودوكسيّة فإنّها تقوم خلال الأسبوعين الثّالث والرّابع من الصّيام (carême)[165] الذّي يسبق عيد القيامة (Pâques)[166] بقراءة رمزيّة لحياة نوح النّاجي من الطّوفان، وذلك وفق عرف الصّلاة الكنسيّ، لترى في برّ نوح وكماله في جيله استباقا لشخص المسيح الكامل أبد الدّهر، حيث تعبّر الصّلوات القدسيّة للمسيحيّ –خلال هذه الأربعين يوما– عن النّدم والرّغبة في الدّخول في

---

[163]_ Fr. Gilles Hervé Masson, avec la collaboration de Françoise Jeanlin et de sœur Katharina Schachl : **«le déluge dans la liturgie»**, Biblia n 11 Aout/ Septembre 2002, p 35 .

[164]– م ن، ص35.

[165]– تعود هذه الكلمة في الأصل إلى اللاتينيّة (quadragésima) أيّ اليوم 40 وهو يوم عيد القيامة بالنّسبة للمسيحيّين، وبالتّالي فإنّ هذا العيد يتلو 40 يوما من الصّيام، وللحصول على هذا العدد من الأيام يجب حذف أيّام الأحد الخمسة.

[166]– هو احتفال دينيّ سنويّ متحوّل التّاريخ يرسّخ في ذاكرة المسيحيّين ذكرى قيامة المسيح إثر صلبه

⇐ لمن أراد الاستزادة حول كلمتي (Pâques) و(carême) له أن يعود إلى الموسوعة الحرّة (Wikipédia) أو (Larousse de poche, Editions Larousse Paris 1995, p98 et 474)

غفران المسيح، الذّي بافتدائه البشريّة طهّر قلبها وروحها، وينصب الاهتمام في هذه المراسم الكنسيّة أيضا على صليب المسيح ورمزيّته حيث هو– في نظرهم – شجرة الحياة الجديدة فقد عوّض خشب الصّليب شجرة الجنّة واحتوى الموت وأقبره[167].

وعموما فإنّ تلاوة الآيات الطّوفانيّة طيلة الأسبوعين الثّالث والرّابع من فترة الصّيام هو أمر متأكّد بالنّسبة للطّوائف الثّلاث، لكن مع بعض الفروقات في التّحليل الرّمزيّ والحيّز الزّمنيّ الموظّف أو المستهلك في هذا الأمر.

لقد اتّسعت حقبة الرّمز المسيحيّ للطّوفان لتشمل الزّمن الغابر والزّمن الحاضر، إذ يرى المسيحيّون المعاصرون[168] في شخص نوح والمسيح رمزا للأبرار الذّين نحتاجهم اليوم لإنقاذ عالمنا، بل ويجعلون من سفينة نوح رمزا لسفينة السّلام التّي يحلم بها الصّغار والكبار من قبلهم، تلك السّفينة التّي ستنجيهم من أشرار هذا العالم[169].

و ممّا تجدر الإشارة إليه في خضم الحديث عن الرّمزيّة التّي حظي بها الطّوفان في فكر المسيحيّين، أنّ هذه الرّمزيّة قد طرقت مختلف جوانب الفكر من فنّ وأدب وغيره، وحسبنا هنا أن نشير إلى رائعة **(Alfred de Vigny): (Le déluge)**[170] التّي نظمها في **(Oloron)** في قمم "البريني"**(Pyrénées)** سنة 1823م، فهذه القصيدة الشّعريّة قد خلّدت صاحبها في عالم الأدب، ليس محليّا أو إقليميّا بل عالميّا[171].

وهكذا إذن فإنّ تصوّرات المسيحيّين لطوفان نوح قد جاءت حبلى بالرّموز والإشارات التّي قد تضيق بل وتضيق النّصوص الكتابيّة بتحمّلها، ولربّما كان هذا التّرميز المسيحيّ لقصّة الطّوفان ناتجا عن إعمال التّجريد في نصوصهم المقدّسة، ثمّ إنّ هذا التّرميز قد يصير أمرا طبيعيّا إذا ما

---

[167]– م س، ص35.

[168]– من بين هؤلاء الصّحفيّ (NOEL COPIN) فانظر مقاله:
«Des justes pour sauver notre monde», Biblia n 11 Aout / Septembre 2002, p 36.

[169]–Quilici Alain : «Le rêve d'une arche de paix», Biblia n 11 Aout / septembre 2002, p 38–39 .

[170]– لمن أراد الاطّلاع على هذه القصيدة له أن يعود إلى ديوان الشّاعر أو إلى الشّبكة العنكبوتيّة على الموقع التّالي : **http : // Fr. wikisource.org**

[171]– للإطّلاع على مدى حضور موضوع الطّوفان في الفنون المعاصرة من مسرح وسينما وغيرهما يكفي فقط الإبحار على شبكة النات عبر كلمتي : **Déluge** و **Flood**

علمنا بأنّ أغلب الباحثين المعاصرين[172] في علم الأديان، قد اصطلحوا على تسمية الديانة المسيحيّة بديانة الأسرار والرّموز.

تلك هي قصّة طوفان نوح، وتلك هي معانيها ومراميها، وتلك هي أسرارها ورموزها في الفكر الدّينيّ الكتابيّ، وإنّها في واقع الحال لا تمثّل استثناء في رمزيّتها، فقد أغرق علماء اليهود والنّصارى سائر القصص الكتابيّ بفيض من الرّموز والأسرار الّتي لا يعلمها سواهم، فكلّ قصّة في الكتاب المقدّس يمكن إفرادها ببحث خاص بها في مستوى رمزيّتهاعند أهل الكتاب .

❖ نتائج البحث :

1. تمثّل قصّة الطّوفان التّوراتيّة دليلا واضحا على تحريف التّوراة إذ كانت مليئة بالمتناقضات والشّركيات الّتي تؤكّد من دون شكّ تأثّر أهل الكتاب عامّة واليهود خاصّة بموروث الشّعوب والحضارات الّتي تداولت على حكمهم كالبابليين والآشوريين والفرس والرّومان وغيرهم.
2. تكتسي قصّة الطّوفان في الفكر الدّينيّ الكتابيّ رمزيّة كبرى فقد وجد فيها اليهود تأكيدا لعقائدهم المزعومة وأحلامهم الموهومة كعقيدة شعب اللّه المختار و عقيدة الهيكل المزعوم وعهودهم المكذوبة الّتي لا تنتهي مع الربّ، كما وجد فيها المسيحيّون دليلا على عقائدهم الباطلة الزّائفة من قول بالتّثليث والقيامة والصّلب والفداء وغيرها ممّا لا يقبله العقل السّويّ ولا الفطرة السّليمة بل وأقحموها في طقوسهم الكنسيّة أيضا.
3. إنّ دراستنا لرمزيّة قصّة الطّوفان في الفكر الكتابيّ وإن كانت تتناول قصّة بعينها فإنّها مع ذلك تسلّط الضّوء على سائر قصص الكتاب المقدّس الّتي يحسن بالباحثين في علم مقارنة الأديان دراستها دراسة نقديّة مقارنة تكفل بيان زيفها وتحريفها وتلجم فكر وخيال أهلها .
4. لا بدّ من العناية بالدّراسات النّقديّة للكتاب المقدّس وعقائده تصنيفا وتأليفا وترجمة وتحقيقا وذلك عبر اعتماد مناهج النّقد المختلفة كالمنهج الإلزاميّ الّذي دأب على إعماله وتوظيفه علماؤنا الأجلاّء بدءا بابن حزم الأندلسيّ ومرورا برحمة الله الهنديّ وانتهاء بأحمد ديدات رحمهم الله جميعا .

❖ مصادر البحث ومراجعه :

[172]– مثل الباحث المسيحيّ "جهاد علاونه" الذي يعتبر ذلك أمرا إيجابيّا يميّز المسيحيّة عن غيرها من الأديان السّماوية.

➢ **باللّغة العربيّة :**

1) **القرآن الكريم.**

2) وافي علي عبد الواحد: اليهود واليهوديّة : بحث في ديانة اليهود وتاريخهم ونظامهم الاجتماعيّ والاقتصادي، نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، د ط، د ت.

3) التّوراة السّامريّة : ترجمة الكاهن السّامريّ أبو الحسن الصّوريّ من العبرانيّة إلى العربيّة، تحقيق وتعليق أحمد حجازي السّقا، دار الجيل بيروت ط1، 2007م.

4) ليوتاكسال: التّوراة كتاب مقدّس أم جمع من الأساطير، ترجمة حسان ميخائيل إسحاق، دار الجنديّ للطّباعة والنّشر ط1 ،1994م.

5) مجموعة من علماء اللاّهوت : التّفسير التّطبيقيّ للكتاب المقدّس ، شركة ماستر ميديا القاهرة، د ط، د ت.

6) الظّاهريّ ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنّحل، تحقيق أحمد السّيّد سيّد أحمد عليّ، المكتبة التّوفيقيّة القاهرة، ط1 ،2003م .

7) جماعة من اللاّهوتيّين برئاسة الدّكتور "فرنسيس دافرسن : تفسير الكتاب المقدّس، دار منشورات النّفير، ط1 ،1986م.

8) محمود كارم عزيز: أساطير التّوراة الكبرى وتراث الشّرق الأدنى القديم، دار الحصاد للنّشر والتّوزيع والطّباعة، سوريّة دمشق ط1 ،1999م.

9) إيبش أحمد: التّلمود كتاب اليهود المقدّس: تاريخه وتعاليمه ومقتطفات من نصوصه، دار قتيبة للطّباعة والنّشر والتّوزيع دمشق سورية، ط1،2006م.

10) فريزر جيمس: الفولكلور في العهد القديم، ترجمة نبيلة إبراهيم، دار المعارف القاهرة، ط2 ،1982م.

11) السّقا أحمد حجازي : نقد التّوراة: أسفار موسى الخمسة: السّامريّة، العبرانيّة، اليونانيّة ، دار الجيل بيروت، ط1 ،1995م.

12) بوكاي موريس : القرآن الكريم والتّوراة والإنجيل والعلم : دراسة الكتب المقدّسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف للنّشر القاهرة 1983 م.

13) الصّليبيّ كمال: خفايا التّوراة وأسرار شعب إسرائيل، دار السّاقي بيروت لبنان، ط6، 2006م،

14) دانزول ألبارتو: اليهوديّة والغيريّة، غير اليهود في منظار اليهوديّة، ترجمة ماري شهرستان، دار الأوائل للنّشر والتّوزيع والخدمات الطّباعيّة سوريّة دمشق ط1، 2004م.

15) الإنجيل للقدّيس متّى ، دار المعارف للنّشر القاهرة، د ط، د ت.
16) تفسير العهد الجديد، مكتبة السّائح طرابلس، جمعيّات الكتاب المقدّس في المشرق، بيروت لبنان ط2، 1987م.
17) حنا حنا: دراسات توراتيّة، دار الأوائل للنّشر والتّوزيع والطّباعة، سورية دمشق ط1، 2003م.
18) السّوّاح فراس: جلجامش ملحمة الرّافدين الخالدة، دار كيوان للطّباعة والنّشر والتّوزيع دمشق سوريّة ط1، 2009م.
19) ديورانت وول : قصّة الحضارة : الشّرق الأدنى، ترجمة زكي نجيب محمود ومحمّد بدران، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب2001م.
20) التّوراة ترجمة عربيّة عمرها أكثر من ألف عام"، تحقيق وتقديم سهيل الزّكار، دار قتيبة للطّباعة والنّشر والتّوزيع ط1، 2007م.
21) تفسير الكتاب المقدس: إصدار كنيسة السيّدة العذراء بالفجالة مصر القاهرة ط1، 2008م.

➢ باللّغة الفرنسيّة :

1) Biblia n11,Aout / Septembre 2002.
2) Ginsberg Louis : Les légendes des juifs : les dix générations, Noé/traduit de l'anglais par Gabrielle Sed- Rajna / les éditions du cerf et Institut Alain de Roth Schild paris 1997.
3) Larousse de poche, Editions Larousse Paris 1995,
4) Marchadour Alain : Genèse commentaire pastoral, Boyard éditions Centurion 1999, 2éme Edition.
5) Targum Pseudo – Jonathan (à Gn 8,20), traduction de Roger le Déaut, éditions du cerf, collection « sources chrétiennes » n°245.

➢ باللّغة الإنجليزيّة :

1) Charles Robert Henry : Apocrypha of the old testament,
2) Soncino Babylonian Talmud", translated into English with notes , glossary and indices under the editorship of Rabbi Dr.IEpstein.BA – Ph.D.D LIT? THE Soncino press London.Sanhadrin

➢ المراجع الإلكترونيّة :

1) http://fr.wikipedia.org
2) http://fr.wikisource.org